CC BY

القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب

طارق محمد امين عبدالله الامام* و ابراهيم محمد محمود الحمداني *

تأريخ التقديم: 2018/11/14 تأريخ القبول: 2018/12/16

المستخلص:

إنَّ مفهوم القيم الخلقية في شعر النمر بن تولب في منظورها العام هي التجربة الشعرية الشاملة للشاعر؛ لأنَّها هي معقد الصلة بين مجموعة الرؤى والصور والافكار والانفعالات من جهة، وبين نمط التعبير عنها من جهة اخرى، وتأتي القيم في مقدمة وسائل التعبير عن التجربة، وترتبط ارتباطاً نفسياً قوياً، فالقدرة على التصوير هي اهم موهبة يمتلكها الشاعر فاذا استعرضنا طائفة من اقوال النقاد في بيان اهمية القيم في العمل الفني، فإننا نجدهم يقولون: ان الشعر لايكون شعرًا إلَّا بالقيم، وهي البنية المركزية للشعر ووسيلته الفنية المحيطة به، ومن القيم التي ظهرت في شعر النمر بن تولب هي الوفاء والكرم والبخل والخيانة.

الكلمات المفتاحيَّة: (تصوير، إيمان، حكمة) .

المقدمة:

الحمد لله الذي نور قلوب المتقين بنعمة الايمان، وانطق ألسنة الصادقين بالحكمة والبيان والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى الاطهار وصحبه الاخيار، ومن تبع سنتهم واقتفى أثرهم بإحسان الى يوم الدين. وبعد: ان النقلة التي احدثها الاسلام في الحياة العربية بكل جوانبها كان لها بالغ الاثر في الشعر العربي آنذاك، ولا غرابة في ذلك لأن الشعر هو التعبير عن مشاعر الناس، وتجسيد أفكارهم، وقد ظهر تأثير الاسلام في كل الفنون الشعرية التي كانت تسود عصر صدر الاسلام، وفي خصائص الشعر الفنية، من حيث الالفاظ والمعاني والصور والافكار والاخيلة. فلقد امتلك النمر بن تولب كغيره من الشعراء الفحول، القدرة الجمالية التي توجهه في استعمال الالفاظ، واستثمار

* مدرس مساعد /قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ جامعة الموصل .

* استاذ / قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ جامعة الموصل .

خصائصها، الذي حوّل الالفاظ المفردة المعجمية الى الفاظ ذات طابع شعريّ، جعلها تتسم بخصوصيات شعريّة، حتى اصبحت إنموذجاً استطاعت ان تفرض وجودها وتترك بصمة واضحة في خارطة الشعر العربي.

توطئة:

النمر بن تولب بن زهير العكلي شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم الإسلام فحسن إسلامه وهو صحابي وفد على الرسول(ﷺ) مسلما، ومدحه. أمتاز هذا الشاعر بحسن خلقه وسعيه إلى مكارم الخلق وعلى رأسها الكرم والوفاء ويقول أبن سلام الجمحي "والنمر بن تولب جواد لا يليق شيئا" وشبه عمرو بن العلاء شعره بشعر حاتم الطائي، ولم يكن الكرم والفروسية فقط ظواهر جلية في حياته – كما عكس ذلك شعره– وإنما احتوى على منظومة من القيم والخصال الحميدة التي تنم عن روح طاهرة وقلب سليم يسعى إلى المكارم جاهدا في تحصيلها فقد صور. شعره العفة والطهارة، فضلا عن الوفاء والمروءة والكرم والفروسية حتى صار كل ذلك هاجسه ، وهذا ما شهد له به عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اعترافا بقيمه حينما قال: "خير ما لهج به أخو عكل النمر بن تولب في خرفه، وكان هجير النمر بعد أن "كبر وخرف وأهتر: أصبحوا الراكب اعبقوا الراكب اقروا أنحروا للضيف أعطوا السائل تحملوا لهذا في حمالته كذا وكذا لعادته بذلك فلم يزل يهذي بهذا وشبهه مدة خرفه حتى مات" ومن يقرأ ديوان الشاعر يجده عبارة عن منظومة خلقية متكاملة كريما مهينا لماله باذلا له للقريب والبعيد وهو يرى أطيب المال ما ينفق وأعزه ما سدت به حاجة الاخرين، ذاما البخل معرضا بأهله وإن كانوا أقرب الناس إليه، وكذلك تأتي صفة الوفاء بالعهد التي من شأنها أداء الأمانة ورعاية الحقوق وهذه الصفة كذلك كانت هاجسه فالشاعر كما كان ماخوذا بالكرم كذلك كان مأخوذا بالوفاء بالعهد، يخشى العار لا في حياته فحسب بل حتى في مماته لذلك كان يحسب دقات قلبه متمسكا بقيم الرجولة حاسبا حساب ما بعد الموت ليخلد ذكره ومن أنفاسه ويحصي هنا كان يدين الخيانة ويعرض بأهلها محتقرا من يتصف بها حتى وإن كان أقرب الناس إليه، هكذا كانت صفتا الكرم والوفاء خط الشروع عنده ومقياس علاقته مع المجتمع ومن هنا كانت فرضية بحثنا تنطلق لدراسة الوفاء والخيانة والكرم والبخل متناولين ما يدور من قيم

كثيرة تندرج تحتهما في هذا البحث الموسوم الوفاء والخيانة والكرم والبخل في شعر النمر بن تولب .

الوفاء والخيانة:

لاشك ان حياة الجاهلي حياة حرب، تسودها العصبية العمياء، وتعتمد القوة والفتك، غير ان العربي نفر من صفة الخيانة والكذب ، والغدر بالآخرين، والتزم الوفاء والصدق في طبعه، وجعله دينا له، وكانت الكلمة ينطقها العربي عهدا يجب عليه ان يفي بها، لذلك رثى الشعراء قتلاهم وموتاهم بذكر وفائهم كصفة كريمة كانوا يتحلون بها.

ان الوفاء بالعهد وأداء الأمانة وذم الخيانة وأهلها قيم عليا يمكن أن نستلهمها من شعر شاعرنا بطريقة مباشرة أحيانا و غير مباشرة أحيانا أخرى، وإن ما يمكن أن نعتمده في شعر النمر بن تولب هو الاعتماد على عناصر عدة منها: زوجتا الشاعر جمرة ودعد ، وإخوته، ومجتمعه، ودينه الجديد، وايله فمن خلال هذه العناصر يمكن لنا أن نلحظ مدى دعوة شاعرنا بالوفاء بالعهد والامانة، و ذمه للخيانة و أهلها، فضلا عن مدى ترسيخ هذه القيمة الخلقية الرفيعة – أي الوفاء– في سلوكه وافعاله.

فوفاؤه تجاه زوجتيه – جمرة ودعد – يمكن أن نستوحيه من خلال غزله بهما دون غيرهما فضلا عن إظهار حزنه و تأسيه عند فراقه لإحداهما، فهذه جمرة زوجته الأولى لما تغزل بها جاء غزله لها غزلا صادقا نستشف منه عاطفة حقيقية تنم عن المودة والرحمة والوفاء لها ولذكراها، فقد افتتح باسمها غير قصيدة، إذ يقول[1] :

صَـرَمَتْكَ جَمْـرةُ واسْـتُبدّ بِـدارِها وَعَـدتْ عـوادِي الحَـرْب دُون مَزارِهـا

زَبَنَتْـك أَركـانُ العَـدوّ فَأَصْـبَحت أَجـاً وجُبَّـةُ مِـنْ قَـرارِ ديارِهـا

(1) شعر النمر بن تولب، صنعة د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1969م: ٥٩ –٦٠ ، الصرم القطع، زبنتك: دفعتك، أجا وجبة: موضعان، الانف: التي ترع، يغم: يعلو ويسد، الضال: السدر البري، والبحار: جمع بحرة و هي الأرض المستوية، عزبت: بعدت، السمي: الأمطار، أصبارها: أعاليها ورأسها، أنماط: مفردها نمط وهو ضرب من البسط، الحنوة :نبات سهلي طيب الريح، الجرجار: عشبة لها زهرة صفراء حسناء، وينظر شعر الرثاء في العصر الجاهلي دراسة فنية ، مصطفى عبد الشافي، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1 ، 1995 م ، 191.

وكأنَّهـــا دَقْـــرَى تَخَيَّـــلُ نَبْتَهـــا أُنـــفٌ يَغُـــمُّ الضَّـــال نَبْـــتُ بحارِهـــا
عَزَبَـــتْ وباكرَهـــا السَّـــميُّ بِدِيمـــةٍ وَطْفـــاءَ يَمْلؤهـــا إلـــى أصْـــبارِها
وكـــأنَّ أنْمـــاطَ المَـــداين وَسْـــطَها مِـــنْ نَـــوْرِ حَنْوتِهـــا ومِـــنْ جَرْجارِهـــا

فالشاعر يشير من خلال هذه الابيات، وبصورة غير مباشرة إلى وفائه لزوجته، وإن صورتها الجميلة ماثلة في النفس فهي حية في الذكر، وأنها تستوطن المخيلة رغم شواغل الحرب التي شغلته عن زيارتها.

فجمرة زوجته وجوهرة حياته التي صرح باسمها في البيت الأول، تمل في مخيلته روضه دقرى – جادت عليها السماء بماء غزير ساكن لا رعد فيه، ولا برق، فغدت هذه الروضة ممرعة تغمرها وتغطيها زهور بيض وصفر، فضلا عن النباتات الطيبة الرائحة، فهذه الروضة –عزبت– لم يرعها أحد رغم حسنها وبهائها، فهي عزيزة عصية المنال.

وبهذا استطاع شاعرنا أن يجعل من هذه الروضة معادلا موضوعيا لزوجته جمرة و لاسيما في الخصب والنماء والحسن والبهاء والحياة، فضلا عن المنعة التي اتسمت بها جمرة كونها استبدت بدارها، وامتنعت بعزتها، وهذه الصورة تعكس أسلوبا جاهليا بدويا في الحياة، فالجاهلي البدوي حريص على أن تكون صاحبته له وحده دون غيره.

ثم يأتي شاعرنا بعد هذه الأبيات، فيشبه زوجته جمرة ببعرة وحشية قلقة غير مستعرة وفية لولدها تخاف عليه فتظل تدور حوله كما تدور الفتاة الصغيرة حول صنمها، فيقول[2]:

وكأنَّهـــا عَيْنـــاءُ أمّ جُؤيـــذرٍ خَـذلتْ لَـهُ بالرَّمـلِ خَلـفَ صِـوارها
خَـرِقٍ إذا مَـا نـامَ طَافَـتْ حَوْلـهُ طوفَ الكعابِ على جنوبِ دُوارها
بِـأَغنَّ طِفـلٍ لا تُصـاحبُ غَيْـرَهُ فَلَـــهُ عُفافـــةُ دَرّهـــا وغِرارهـــا

(2) شعر النمر بن تولب: ٦١، الجؤذر: ولد البقر، الصوار: القطيع من الغنم والبقر، خرق: لاصق بالأرض، الدوار: صنم كانوا يدورون حوله في الجاهلية، الأغن: الذي في صوته غنة، العفافة: ما يبقى من لبن في الضرع بعد الحلب، الغرار: مأ ترفع الناقة من لبنها.

فالنمر بن تولب في غير هذه القصيدة يكرر صورة هذه الروضة نفسها بتفصيل أكثر، بعد أن تسبى صورة الروضة أربعة أبيات يذكر فيها شاعرنا بعد جمرة عنه، وحلولها مع قومها في تيماء، ومصرحا من خلال هذه الأبيات عن حزنه وتحسره على زمن ماض جميل جمع بينهما، و يشير فيها كذلك إلى عدد من الأماكن التي كان يلاقي فيها زوجته جمرة و يلهو بها، وأن هذا اللقاء المقرون بزمن الماضي الجميل له في نفس شاعرنا محبة ووقع خاص، إذ ترك في نفسه أثراً جميلا و عميقا، لا يمكن أن يمحى، فيقول[3]:

شَطّتْ بِجَمْرةَ دارٌ بَعْدَ إلمامِ نَأيٌ وطُولُ بِعادٍ بَيْنَ أقْوامِ
حَلَّتْ بِتَيماءَ في قَوْمٍ إذا اجْتَمَعُوا في الصُبْحِ نَادَى مُنادِيهم بِأشْأمِ
وقَدْ لَهَوتُ بِها والدَّارُ جامِعةٌ بِالخرجِ فالنّهي فالعَوراءِ فالدَّامِ
حَتَّى أشْتَفَى وشَفَى مِنْها لُبانتهُ وما يزيدُ شفاءً غَيْرَ إسْقامِ

ان ما يمكن أن نستوحيه ونستشفه من خلال هذا التذكر الحي الذي لا يمكن أن يزول، هو وفاء شاعرنا لعهد المودة والمحبة التي كانت بينه و بين زوجته جمرة، فهي حاضرة بروحها وريحانها وإن غابت عنه بجسدها، فهو يتذكرها من وقت لآخر دون توقف، فحنينه وشوقه الصادق لها والذي نراه محسوسا في قوله: (ما يزيد شفاء غير إسقام) فكلما أشفى منها لبانته زاد تعلقا بها، قد عبر عن الحب الحقيقي والوفاء المحض لها.

وبعد هذه الأبيات الاربعة يأتي شاعرنا بروضته الغزلية، والتي قوامها ستة أبيات، فيقول [4]:

كَأنَّ جَمْرةَ أو عزَّتْ لَها شَبهاً في العَيْنِ يَوْمَ تَلاقَيْنا بِأَرْمامِ
مَيْثاءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلٌ فَأمْرعَتْ لاحْتِيالٍ فرْطَ أعْوامِ

(3) المصدر نفسه:110، بالخرج فألنهي فالعوراء فالذام: هذه موضع.

(4) شعر النمر بن تولب: ١١٠–١١٢، عزتها: غلبتها، وارمام: جبل أو واد، الفأو: قطعة من الأرض تطيف بها الجبال، الجرام: الذين يصرمون التمر، الحنوة: نبات سهلي طيب الريح، الاهضام: البخور.

إذا يَجِـــفُّ ثَراهـــا بلَّهـــا دِيَـــمٌ مِـنْ كَوْكَـبٍ نَـزِلٍ بِالمـاءِ سَـجَّامِ
لَـــمْ يَرْعَهـــا أحَـــدٌ وارْبَتَّـــا زَمَنـــاً فَـأوٌ مِـنَ الأرضِ مَخْفُـوفٌ بِـأعْلامِ
تَسْـمَعُ لِلْطَّيْـرِ فـي حَافَاتِهـا زَجِـلاً كَـــأنَّ أصْـــواتَها أصْـــواتُ جُـــرَّامِ
كـــأنَّ رِيـــحَ خُزَامـاهـــا وحَنْوتِهـــا بِاللَّيْـــلِ رِيـــحُ يَلَنْجـــوجٍ وأهْـــضامِ

إن شاعرنا يشبه جمرة التي تمثل فى مخيلته بصورة فريدة يشق أن تماثلها صورة في حسنها وجمالها، ويوم ذاك اللقاء، الذي مازال ماثلا في الذهن والنفس بروضة ميثاء– خصبة نزل عليها مطر غزير وفير لين يدوم اليوم واليومين، فروضة الشاعر لا تجف أبدا إذ توكل بها كوب ينزل عليها بوابله ويغسل ثراها بديمه، فغدت ممرعة يغمرها الرواء والندى.

ويظهر شاعرنا مكان هذه الروضة في بطن الأرض، وتحيط بها الجبال من كل جوانبها، فهي بذلك تكون محفوظة من الرياح الشديدة العاتية ومن أعين الناس، كما يظهر شاعرنا منعة هذه الروضة كونها في منأى عن كل من سار على قدمين، إذ لا يصلها غير من كان له جناحان يطير بهما، فالطير وحده من يطرب ويغني في هذه الروضة. وحتى يستكمل شاعرنا ملامح هذه الروضة الفريدة من نوعها، راح يطيب جوها بالروائح المنعشة الزكية من الخزامى و الحنوة والأهضام [5].

وبهذا يكمل شاعرنا هذه الروضة الجميلة التي يمكن لنا أن نستشف ونلحظ من خلال تصويره، أن الروضة معادل موضوعي لزوجته جمرة جوهرة حياته، وذلك في الخصب والنماء والحياة والمنعة، وفي مقابل ذلك فإن الطير هو معادل موضوعي للشاعر.

فتصوير شاعرنا لتفرد هذا الطير بالروضة و تعلقه بها، يعكس لنا مدى حرص الشاعر على أن تكون جمرة له دون غيره، ولعل هذا التصوير لشاعر مدفوع من قلق نفسي ينتابه من وقت لآخر بإزاء أن زواجه من جمرة هو زواج ما يسمى بزواج الأخيذة

(5) الروضة الغزلية في قصائد قديمة، عبد الكريم يعقوب، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، م27، ع1، 2005: 23–24–25.

(6)، فالشاعر قلق من القيم الاجتماعية التي طالما تدعو الأخيذة بترك زوجها السابي والعودة إلى رحاب زوجها الاول، وهذا ما حدث فعلا مع شاعرنا وزوجته جمرة كما تذكر الأخبار (7).

كما أن الشاعر يعرض لنا شاهدا آخر في الوفاء لزوجته جمرة بعد أن يقف على أطلالها في ثلاثة أبيات، فيقول (8):

تَأبَّـد مـن أَطـلالَ جمْـرةَ مَأسَـلُ وقـدْ أَقْفَـرَتْ مِنْهَـا شَـراءٌ فيـذبُلُ
فَبُرقَـةُ أَرْمـامٍ فَجَنْبـا مُتَـالِعٍ فَـوادي سـليلٍ فالنَـديُّ فَأنْجَـلُ
ومِنهَـا بِـأعْراضِ المَحاضِـرِ دِمْنَـةٌ ومِنهـا بِـوادِي المُسْـلَهمَّةِ مَنْـزِلُ

فالشاعر يصف من خلال هذه الأبيات الأماكن والمواضع التي قد فارقتها جمرة، كونها أصبحت وحشة خربة لا حياة فيها جراء فراق جمرة الحبيبة، ثم يأتي شاعرنا بعد ذلك بغزل عفيف لها، فيقول(9):

أنَـاةٌ عَلَيْهـا لُؤلُـؤٌ وزَبَرْجَـدٌ ونَظْـمٌ كـأجْوازِ الجَـرادِ مُفَصَّـلُ
يُربّتُهـا التَّرعيـبُ والمحـضُ خِلفَـةً ومِسْـكٌ وكـافُورٌ ولُبنَـى تأكَّـلُ
يُشَـنُّ عَلَيْهـا الزَّعْفَـرانُ كأنَّـهُ دَمٌ قَـارِتٌ تُعْلَـى بِـهِ ثُـمَّ تُغْسَـلُ
سَواءٌ عَلَيْها الشَّيخُ لم تَدْرِ ما الصِّبا إذا مَـا رَأتـهُ والأُلُـوفُ المُقَتَّـلُ
وكَـمْ دُونَهـا مِـنْ رُكْـنٍ طَـودٍ ومَهمـهٍ وماءٍ علـى أطرافِـهِ الـذِّئْبُ يَعْسِلُ
وَدسَّـتْ رسـولاً مـن بعيـدٍ بآيـةٍ بـأن حَـيِّهِمْ واسـألهُمُ مـا تَمَوَّلـوا

(6) (الأخيذة) المرأة تسبى في الحرب وما اغتصب من شيء فأخذ. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى: 8/1.

(7) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني(٣٥٦ هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢.: ٢٢/ ٢٧٧.

(8) شعر النمر بن تولب: ٨١– ٨٢ تأبد: توحش، شراء: جبل شامخ، أعراض المحاضر: جوانب المياه.

(9) المصدر نفسه: ٨٢–٨٣، نأة: بطيئة القيام، يربتها: يغذيها، الترعيب: السنام المقطع، ولبنى: شجر لها لبن كالعسل، يشن: يصب، دم قارت: قد يبس بين الجلد واللحم، الألوف الذي بألف النساء ويألفنه، المقتل: الغزل.

فقد وصف شاعرنا مشية حبيبته جمرة بالهدوء والبطء، وهذا في حد ذاته له دلالته الاجتماعية، كونها زوجة منعمة ومترفه، وهذا الوصف يعكس لنا مدى وفاء الشاعر لجمرة، فهي لا تعاني من نكد العيش ومتاعب الحياة البدوية، ومزينة بأنواع الحلي ومعطرة بالمسك والكافور، فضلا عن إترافها في غذائها وطعامها.

وكما أظهر الشاعر وفاءه لحق زوجته في إعطائها هذه الوسائل، فقد أظهر أيضا في المقابل ذلك وفاء زوجته له، كونها تتصف بالعفاف والحلم والرزانة، فهي لا تلقي بالا لأي رجل، حتى لو كان ممن يألف النساء ويألفنه لرقة تغزله وجماله، كما أنها ترسل له ولأولادها منه التحية وتسال عما يتمولونه وما يأكلونه، وإن حالت بينهم المسافات البعيدة من البرية – مهمة – والجبال – طود – . وبهذا الغزل العفيف لجمرة، يظهر لنا شاعرنا مدى وفائه لها ولذكراها، كما تظهر كتب الاخبار حال شاعرنا عندما فارقته جمرة وعادت لرحاب زوجها الأول، مظهرا جزعه عليها جزعا شديدا، حتى خيف على عقله ومكث أياما لا يطعم و لا ينام، و بهذا يتبين وفاء شاعرنا لزوجته الاولى جمرة.

أما زوجة الشاعر الثانية دعد فقد قال فيها شعرا متغزلا، صور فيه شدة اشتياقه وولعه بها على الرغم من كبر سنه وشيخوخته التى كانت سببا لإنكارها لما أبداه من جهل المرد، فهو ما هو عليه من وقار الشيخوخة يقول فيها[10]:

أَشَاقَتْكَ أَطْلالٌ دَوارِسُ مِنْ دَعْدِ ... خَلاَءْ مَغانِيْها كَحاشِيةِ البُرْدِ
عَلى أَنَّها قَالَتْ عشِيَّةَ زُرْتُها ... هُبِلْتَ أَلَمْ يَنْبُتْ لِذَا حِلْمُهُ بَعْدِي
أَلَسْتَ بشَيْخٍ قَدْ خُطِمتَ بلحْيَةٍ ... فَيُقْصِرُ عَنْ جَهْلِ الغرانِقَةِ المُرْدِ
وإِنِّي كَما قَدْ تَعْلَمِيْنَ لأَتَّقِي ... تُقايَ وأُعْطِي مِنْ تِلادِيَ لِلْحَمْدِ

(10) شعر النمر بن تولب: ٥١ –٥٢، اشاقتك: هيجتك، المغانى: المنازل التي كانوا يغنون بها، هبلت: ثكلت، الغرائقة: الفتيان.

ويقول ايضا[11]:

أهِـيْمُ بِدَعْـدِ مـا حَيِيـتُ فـإِنْ أَمُـتْ فوا حزنـي من ذا يهيمُ بها بَعدِي

وبهذا يظهر وفاء النمر بن تولب، أزاء زوجتيه جمرة ودعد– وذلك من خلال غزله بهما دون غيرهما، ومع هذا فلا بد أن لا نخفي ورود أشارات في شعر شاعرنا لأسماء أخر غير جمرة و دعد كأم حصن، فيقول [12]:

أَلَـــمَّ بِصُـــحْبَتِي وَهُـــمُ هَجُـــودٌ خَيـالٌ طـارِقٌ مِـنْ أُمِّ حِصْـنِ

وكذلك ورود اسم سليمى فيقول[13]:

فَقُلْـــتُ وكَيْـــفَ صـــادَتنِي سُـــلَيْمَى ولَمَّـــا أَرْمِهـــا حَتَّـــى رَمَتْنِـــي

ان هذه الإشارات لا يمكن ان نفسرها إلا على أنها رموز رَ مَـزَ مـن خلالهـا شـاعرنا على زوجةٍ من زوجتيه جمرة ودعد ، ومثل هذا الصنيع قد نص عليه الكثير من الشعراء، فكان الشاعر يسمي صاحبته باسم غير اسمها، أو بكنيها بكنية مستعارة، أو يوصفها بصفة لا تفصح عن حقيقتها، وهذا ليس بغريب على النمر بن تولب الذي يدعو في موضع أخر على التكتم في ذكر اسم صاحبته، فيقول [14]:

سَـــــلا عَـــــنْ تَـــــذَكُّرِهِ تُكْتَمـــــا وكَـــانَ رَهِيْنـــاً بِهـــا مُغْرَمـــاً

ان ما يمكن أن نلحظه ونستوحيه من وفاء الشاعر تجاه زوجتيْه – جمرة ودعد – كذلك من خلال حزنه الشديد وألمه عند فقده لواحدة منهما، بسبب موت أو جائحة من الجوائح، فعندما يسمع بوفاة زوجته جمرة، ووصول خبر نعيها إليه من قبل رجل من قومه يدعى

(11) المصدر نفسه :133.
(12) شعر النمر بن تولب: ٥١ –٥٢ .
(13) شعر النمر بن تولب: ٥١ –٥٢ .
(14) شعر النمر بن تولب: ٥١ –٥٢ .

حزام ، أظهر الشاعر عندها حزنه وتأسيه، محاولا أن يصبر نفسه ويخفف روعها من خلال تصريحه بأن الموت حق على كل إنسان، فيقول [15]:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ جَمْـرَةَ جـاءَ مِنْهـا بَيـانُ الحَـقِّ إنْ صَـدَقَ الكَـلامُ
نَعاهـا بالبـديعِ لَنـا حِـزامٌ أحَـقٌّ مـا يَقُـولُ لَنـا حِـزامُ
فَـلا تَبْعُـدْ وقَـدْ بَعُـدَتْ وأَجْـدَى علـى قَبْـرٍ تَضَـمَّنَها الغَمـامُ

ومن هنا نلحظ ونستشف مدى وفاء شاعرنا لزوجته جمرة، إذ يحترم ذكراها، ويأسف على فراقها في مجتمع عماد نظامه سواعد الذكور.

أما وفاء الشاعر لأخوته، فقد جاء ظاهرا صريحا في شعره، فشاعرنا يدعو زوجته ويوصيها دائما، بأنه إذ ما جاء إخوته إليه يوما، عليها أن تحسن إليهم وتكرمهم، وبأن تتركهم يتعللوا ويلهوا معه، وذلك لأن الموت حق ولا بد يوما أن يفرق بينه وبينهم، فيقول [16]:

وإذا أَتَـانِي إِخْـوَتِي فَـدَعِيْهِمُ يَتعَلَّلُوا فـي العَـيْشِ أوْ يَلْهُـوا مَعِـي
لا تَطْـرُدِيهِمْ عَـنْ فِراشِـي إنَّـهُ لا بُـدَّ يَوْمـاً أنْ سَـيَخْلُو مَضْـجَعِي

ووفاء الشاعر لا يتوقف عند إخوته في حياتهم، بل حتى عند وفاة أحد منهم، فعندما مات أخوه الحارث بن تولب، أظهر الشاعر حزنه الشديد لفراقه، داعيا له بالسقيا، سائرا في ذلك على سنة القدماء وسالكا مسالكهم في استسقاء المطر، فيقول[17]:

لا زالَ صَـوْبٌ مِـنْ رَبيـعٍ وصَـيّفٍ يَجُودُ على حِسْيِ الغَمِيْمِ فَيثْرَبِ
فَـو اللهِ مـا أَسْـقِي الـبِلادَ لحُبِّهـا ولَكِنَّمـا أَسْـقِيْكَ حـارِ بـنَ تَوْلَـبِ

(15) شعر النمر بن تولب: ٥١ –٥٢ .

(16) شعر النمر بن تولب: ٥١ –٥٢ .

(17) النمر بن تولب: ٤٢ – ٤٣، يترب: أرض بني سعد، الفلج: النهر،من بطن دجلة: أي من سعة دجلة.

تَضَـــمَّنْتَ أَدْواءَ العَشِـــيرَةِ بَيْنَهـــا وأَنْـتَ علـى أعْـوادِ نَعْـشٍ مُقَلَّـبِ
كـأنَّ امرءاً فـي النَّـاسِ كُنْـتَ ابـنَ أُمِّـه على فَلَجٍ مِنْ بَطْنِ دِجْلَةَ مُطْنِبِ

فالشـاعر مـن خـلال هـذه الأبيـات وبعـد أن أستسـقى لأخيـه المطـر، أظهـر قيمـة أخيـه الاجتماعية والقبلية حيا وميتا فهو ضـامن لأدواء العشرة حتـى وهو علـى أعواد نعشه، فهو ذو أثر اجتماعي كبير وواسع، رعايته شاملة لكل الناس كما لو أنهم (ابن أمه).

كما أن شاعرنا رثى إخوة له آخرين في أبيات أخرى، مبينا من خلالها الأماكن التي حوت إخوته الشجعان الكرماء، كمأ بين كذلك حزنه و دعواه، والذي يراه بلا جدوى، محاولا بذلك التنفيس وأجلاء الكرب والحزن عن نفسه، فيقول [18]:

بَـيْنَ البَـدِيّ وبَـيْنَ بُرْقَـةَ ضَـاحِكٍ غَـوثُ اللَّهِيْـفُ وفـارِسٌ مِقْـدامُ
ومَقَـابِرٌ بَـيْنَ الرُّسَـيْسِ وعاقِـلٍ دَرَسَـتْ وفِيْهـا مُنْجِبُـونَ كِـرامُ
جَزَعـاً جَزِعْـتُ عَلَـيْهِمُ فَـدَعَوْتُهمْ لَوْ يَسْمَعُونَ وكَيْفَ تُدْعَى الهامُ
لا تَبْعَـدُوا وغَـداً السَّـلامُ عَلَـيْكُمُ وسَـرَى فَقَـدْ يَتَفَـرَّقُ الأقْـوامُ
فَأَبِيْـتُ مَسْـرُوراً بِرُؤيَـةِ مَـن أرَى فـإذا انْتَبَهْـتُ إذا هِـيَ الأحْـلامُ

ان حضور الأخوة صار هاجسا لا يفارق الشاعر حتى اختلط لديه الواقع بالحلم، فكل من غيبه الموت من أخوته حاضر في روحه، فهم الغائبون الحاضرون، فالشاعر من شدة شوقه وحبه ووفائه لهم، يستحضرهم في مخيلته فيحلم بهم، فيهنا بصحبيهم ويسر برؤيتهم، ولكن هيهات إنه الحلم الذي سرعان ما ينكفئ ويعود إلى الواقع. وهذا كله إن دل على شيء فهو يدل على شدة تعلق الشاعر بإخوته وإخلاصه ووفائه لهم.

ووفاء الشاعر لم يقتصر على زوجتيه وإخوته ، فهو وفي لأقاربه وحتى لجاره الذي أضحت داره بعيدة عن منزله، فيقول[19]:

(18) المصدر نفسه:٩٨، البدي: وأد لبني عأمر، غوث اللهيف: الذي يغيث المضطر، الرسيس: مأء وقيل واد بقرب عاقل.

لا يَعلَمُ اللامِعاتُ اللامِحاتُ ضُحى ماتَحْتَ كَشْحِي ولايَعْلَمْنَ أسْرارِي
ولا أخونُ ابنَ عَمّي في حَلِيْلَتِهِ ولا البَعِيدَ نَوَى عَنّي ولا جارِي
حَتَّى يُقالَ إذا وُرِّيتُ في جَدَثِي لَقَدْ مَضَى نَمِرٌ عارٍ مِنَ العارِ

فالشاعر مأخوذ بالوفاء فهو يخشى العار، ولذلك يحسب أنفاسه ويعد دقات قلبه متمسكا بقيم الرجولة التي يحسب حساب ما بعد الموت وذلك ليخلد ذكره، فالأنا هنا أنا متدبره واعية زمام أرادتها فجعل السمو عنوان حياتها ومماتها، لذلك نجد صورة (الأنا) عنده صورة شخصية وفية متمثلة بعدم الخيانة لابن العم في زوجته، فضلا عن عدم خيانة ومراودة زوجه جاره الذي داره بعيد عنه، وهذا في حد ذاته يظهر مدى وفاء شاعرنا واحترمه وإخلاصه النية للأقارب والجار، ليحقق ما يريد من أن يقال له في المستقبل، ولاسيما بعد موته أنه قد مضى ومات وهو عار أي خال من الغدر والخيانة.

هكذا صار الوفاء خط الشروع لديه في علاقاته كافة، فمن صور وفائه لمجتمعه وإخلاصه للقيم الأصيلة التي تمثله، من كرم و فروسية ومرؤة، والذي جاء في شعره ظاهرا جليا، ويتضح هذا الوفاء من خلال موقفه، حينما دعاه ابنه ربيعة بأن يهاجر معه إلى المدينة – الكوفة–، وأن يترك البادية، فكان موقفه لافتا للنظر، كونه قد ألف عيش البادية ألفا يجعله ينفر من طلب ابنه ربيعة، فالعيش في المدينة فيه مغايرة كبيرة لمعظم ما تعوده في البادية، فيعبر عن حقيقة طلب ابنه من خلال دعوته لربه العلي، فيقول[20]:

أَعِذْني رَبِّ مِن حَصَرٍ وعِيٍ ومِنْ نَفْسٍ أُعالِجُها عِلاجا
ومِنْ حاجاتِ نَفْسِيْ فَأعْصِمَنِّي فإنَّ لِمُضْمَراتِ النَّفْسِ حاجا
وأنْتَ وَلِيُّها وبَرِئْتُ مِنْها إلَيْكَ وما قَضَيْتَ فَلا خِلاجا

إن ما يمكن أن نلحظه من دعاء واستعاذة شاعرنا، هو إظهاره طلب ابنه بانه وسوست النفس الأمارة بالسوء، فهو يدعو ربه بعد أن يسلم لسانه من العي والحصر، أن

(19) النمر بن تولب: ٦٦، الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع، حليلة الرجل: امرأته، الجدث: القبر.
(20) النمر بن تولب: ٦٦ .

يحفظه من النفس الأمارة بالسوء، وما توسوس لصاحبها من حاجات خفية وظاهرة، فيعلن الشاعر براءته من هذه النفس الأمارة بالسوء وما يلحقها من وسواس، ويحيل أمرها إلى خالقها وباريها[21]، ولا شك أن أثر الإسلام، في هذه الأبيات واضح جلي، فهي تعبر عن مدى إيمان الشاعر وتفقهه في الدين وهو ينهل من معين الصور القرآنية ومعانيه ودلالته.

ثم يأتي الشاعر ليعبر عن وفائه لمجتمعه وذلك من خلال رفضه لدعوة ابنه تصريحا لا تلميحا، فيأتي بالأدلة والبراهين العقلية وذلك من خلال إجراء المقارنة والمقابلة بين مجتمعي البادية والذي رمز لها بالابن والفرس، والمدينة التي رمز لها بالدجاج، فيقول[22]:

وأنْـتَ وَهَبْتَهـا كُوْمـاً جِـلاداً ... أرجّـي النَّسْـلَ منهـا والنِّتاجـا
فَلَسْـتُ بِحـارِمِ الأضْـيافِ مِنْهـا ... وجاعِـلِ دُونهُـمْ بـابِي رِتاجـا
وتَـأْمُرُنِي رَبِيْعَـةُ كُـلَّ يَـوْمٍ ... لأشْـرِيَها وأقْتَنِـيَ الـدَّجاجا
وما تُغْنِي الدَّجَاجُ الضَّيفَ عَنِّي ... ولَـيْسَ بِنـافِعِي إلاَّ نِضَـاجا
أأُهْلِكُهـا وقَـدْ لا قَيْـتُ فِيْهـا ... مِرَارَ الطَّعْنِ والضَّرْبَ الشِّجاجا
وتَـذْهَبُ بَـاطِلاً غَـدَواتُ صُـهْبَى ... علـى الاعْـداءِ تَخْـتَلِجُ أخْتِلاجـا
جَمُـومُ الشَّـدِّ شـائِلَةُ الـذُّنابَى ... تَخـالُ بَيـاضَ غُرَّتِهـا سِـراجا
وشـدِّي فـي الكَرِيْهَـةِ كُـلَّ يَـوْمٍ ... إذا الأصْـواتُ خالَطَـتِ العَجاجـا

إن الشاعر يأتي بالمسوغات التي ترفض فكرة ابنه التي فحواها أن يبيع ما وهبه الله إياه من إبل ليشتري الدجاج، ويعني هذا عند الشاعر إبدال البادية وما تحمله من قيم بالمدينة، وهذا يعني في حد ذاته حرمان الضيف من الكرم، كون الدجاج لا تغني الضيف عند الشاعر، و بالتالي تخليه عن قيمة أصيلة من قيم البادية ألا وهي قيمة الكرم.

(21) الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام دراسة فكرية فنية – علي كمال الدين الفهادي، أطروحة دكتوراه، كلية الادأب، جامعة الموصل،١٩٩٠:٧٣.

(22) شعر النمر بن تولب: ٤٦ – ٤٨، الكوم: جمع كوماء وهي الناقة العالية السنام، الجلاد: الصلاب الكبار، لأشريها: لأبيعها، شائلة الذنابى: يعني أنها ترفع ذنبها عند العدو.

كما أن الشاعر يرفض هذا الإبدال، وذلك لأن حصوله على هذه الإبل لم يكن بسهولة، بل عرض حياته للموت من أجل كسبها والحصول عليها، فهو لم يخاطر بنفسه لكي يبيعها ويشتري الدجاج، إنما ليجود بها من أجل الآخرين، فالشاعر يرى حصول هذا الإبدال هو ذهاب غدوات فرسه على الأعداء باطلا، وهذا يعني تخليه عن قيمة أخرى من قيم البداوة ألا وهي الفروسية.

وبهذا يرسم النمر بن تولب موقفه تجاه طلب ابنه ربيعة، فيظهر من خلاله مدى وفائه والتصاقه بمجتمعه البدوي وبقيمه الأصيلة.

ومما يدلل على تسامي الرجل وشدة تمسكه بالوفاء والإخلاص لكل شيء، فهو سلوك لا يمكن التخلص منه، هو وفاؤه حتى في تبليغه لدينه الجديد، الذي أعتنقه بعد رحلة شاقة قام بها قاصدا النبي محمد (ﷺ)، فيقول[23]:

إنَّـــا أتَيْنـــاكَ وقَـــدْ طـــالَ السَّـــفَرْ
نَقُـــودُ خَـــيْلاً ضُـــمَّراً فِيْهـــا ضَـــرَرْ
نُطْعِمُهـــا اللَّحْـــمَ إذا عَـــزَّ الشَّـــجَرْ
والخَيْـــلُ فـــي إطْعامِهـــا اللَّحْـــمَ عَسَـــرْ
يـــا قَـــوْمُ إنِّـــي رَجُـــلٌ عِنْـــدِي خَبَـــرْ
اللهُ مِـــــن آياتِـــــهِ هـــــذا القَمَـــــرْ
والشَّـــمْسُ والشِّـــعْرَى وآيـــاتٌ أُخَـــرْ

فالشاعر هنا قد أعتمد في تبليغه لهذه الأمانة التي يراها قد أنيطت على عاتقه، بالوقوف على معالم الطبيعة في السماء، من شمس و قمر ونجوم ومعالم أخر لم يصرح بها، وذلك ليبين من خلالها وجود الله تعالى وعظمة خالقها. ولو أخذنا الشطر الذي تفرد به أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني دون غيره في روايته له، وهو قوله [24]:

(23) شعر النمر بن تولب: ٦٩.
(24) الأغاني: ٢٢/ ٢٧٩.

أن الشاعر يدعو قومه بالسمو مَـــن يتســـامَ بِالهـــدَى فالخبـــثُ شَـــرْ

والافتخار والاهتداء بهذا الدين الجديد، ويحذرهم إن لم يؤمنوا به وينقادوا له فذلك خبث وشر لهما[25]، فمن خلال دعوة الشاعر قومه للأيمان بهذا الدين الجديد، نستشف وفاءه السريع لتأدية هذه الأمانة العظيمة التي يرى أنه قد كلف بها.

فكما وجدنا الشاعر وفيا لإبله كونه لا يبدلها بالدجاج، كذلك يأتي وفاؤه لها من خلال تصويره لحاله وهو يتتبع لهذه الإبل المرعى الخصب حتى تبدوا هذه الإبل سمينة قوية، فيقول[26]:

ففِـي جِسْـمِ راعِيهـا هُـزالٌ وشُـحْبَةٌ وضَـرٌّ ومـا مِـنْ قِلّـةِ اللّحْـمِ يُهْـزَلُ

لقد أظهر شاعرنا جسم صاحب هذه الإبل الذي هو معادل موضوعي له، على أنه ضعيف البنية هزيل شاحب اللون لا لحم عليه، ولكن هذا الضعف كما بينه الشاعر ليس سببه قلة الأكل، فالأكل وفير، و لكن لعل قلة الراحة التي فقدها هذا الراعي الوفي، بسبب تتبع لهذه الإبل الأرض الخصبة، وعدم الغفلة عنها، وراء هذا الضعف للراعي بعكس إبله التي قد جاء وصفها قبل هذا البيت، وذلك بأنها تأكل وتسمن حتى تظاهر شحمها، وأصبحت عالية السنام قد طويت بالشحم، فيقول[27]:

وحُمْـــرٌ تَراهـــا بِالفَنـــاءِ كأنَّهـــا ذُرَا كُثُـبٍ قَـدْ مَسَّـها الطَّـلُّ تهطـلُ
عَلَيْهـا مِـنْ الـدَّهْنا عَتِيـقٌ ومَـورَةٌ مِـنَ الحَـزنِ كَـلاًّ بِـالمَراتعِ يَأكُـلُ
فَقَـدْ سَـمِنَتْ حَتَّـى تَظَـاهرَ نَيُّهـا فَلَـيْسَ عَلَيْهـا للـرَّوادفِ مِحْمَـلُ

(25) ينظر: الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام دراسة فكرية فنية، أطروحة دكتوراه: ٢٠٤.
(26) شعر النمر بن تولب: ٩٢.
(27) شعر النمر بن تولب: ٩١، العتيق: الشحم، المورد: مأ نسل من عقيقة الجحش وصوف الشاة، النيّ: الشحم.

إن الوفاء وذم الخيانة في شعر شاعرنا لا ينحصر في أفعاله وسمات شخصيته، بل يتعدى ذلك ولاسيما في توصية الأخر في هذه القضية الكبرى، فالشاعر يوصي الفتى العربي وصية الحكيم الذي له تجربة بالحياة – كونه عاش على أقرب تقدير مأتي سنة – بأن يكون وفيا وأن لا يخون ولا ياثم، فيقول[28]:

فَأُوصِـــى الفَتَـــى بِابْتِـــاءِ العُلَـــى وأنْ لا يَخُـــــونَ ولا يَأْثَمَـــــا

كما أنه يوصي زوجته بالوفاء بحقه، بعد أن رأها قد أبدت جزعا شديدا على إثر مال أنفقه على نفر حلوا ضيوفا عليه، فهو يطلب منها بالوفاء الحقيقي، و ذلك بأن لا تجزع على فقد المال الذي يذهب ويأتي، ولتجزع عند فقدها لزوجها الذي يجلب هذا المال، فيقول[29]:

لا تَجْزَعِـى إنْ مُنْفِسـاً أَهْلَكْتُـهُ وإذا هَلَكْـتُ فَعِنْـدَ ذَلِـكَ فـاجْزَعِي

وينظر الشاعر إلى مجتمعه الجديد، فيرى أنهم قد استحدثوا أخلاقا جديدة لم تعرف من قبل، إنه يرى نظرتهم إلى الأشياء قد تغيرت عما كانت عليه في السابق، فيقول[30]:

أَرَى النّـــاسَ قَـــدْ أَحْـــدَثوا شِـــيْمَةً وَفِـــي كُـــلِّ حَادِثَـــةٍ يُـــؤْتَمَرْ
يُهِيْنُـــونَ مَـــنْ حَقَّـــرُوا سَـــبيهُ وإنْ كـــانَ فِـــيْهِمْ يفِـــي أو يَبَـــرْ

فمن ضمن ما أحدثه هذا المجتمع كما يرى الشاعر هو " يهينون من قل سبيه، وإن كان برا وفيا، وقد كان فيما مضى أنه إذا كان الرجل وفيا أكرم وسود، وإن كان معدما[31] لا مال له.

(28) المصدر نفسه:100.
(29) المصدر نفسه:72.
(30) المصدر نفسه: ٥٦، شيمة: الخلق، يؤتمر: يحدث التشاور والتداول الاراء والجدل.
(31) المصدر نفسه: 58.

ولما خدعت جمرة زوجها الثاني– النمر بن تولب – كما تذكر المصادر" قالت لـه في بعض أيامها أزرني أهلي فإني قد اشتقت إليهم فقال لها أني أخاف أن صرت إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك فواتقته لترجعن إليه فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بني أسد فلما أطل على الحي تركته و اقفا وانصرفت إلى منزل بعلها الأول فمكثت طويلا فلم ترجع إليه فعرف ما صنعت وأنها اختدعته فانصرف و قال[32]:

جَـزَى اللهُ عَنَّـا جَمْـرَةَ ابْنَـةَ نَوْفَـلٍ جَـزاءَ مُغِـلٍّ بِالأمانَـةِ كـاذِبِ
لَهـانَ عَلَيْهـا أَمْـسِ مَوْقِـفُ راكِـبٍ إلـى جانِبِ السَّرْحاتِ أَخْيَبِ خائِبِ
وقَـدْ سَـأَلَتْ عَنِّـي الوُشـاةَ لِيَكْـذِبُوا عَلَـيَّ وقَـدْ أَبْلَيْتُهـا فـي النَّوائِـبِ
وصَـدَّتْ كـأَنَّ الشَّـمْسَ تَحْـتَ قِناعِهـا بَـدا حاجِـبٌ مِنْهـا وضَـنَّتْ بِحاجِـبِ

وقال ذاما لخيانتها والنساء عامة أيضا: [33]

وكُـلُّ خَلِيْـلٍ عَلَيْـهِ الرِّعـا ثُ والحُـبُلاتُ كَـذُوبٌ مَلِـقْ
وقَامَـتْ إلـيَّ فَأَخْلَفْتُهـا بِهَـدْيٍ قَلائِـدُهُ تَخْتَنِـقْ
بِـأَنْ لا أَخُونَـكَ فِيْمـا عَلِمْـتَ فَـإِنَّ الخِيانَـةَ شَـرُّ الخُلُـقْ

إن نظرة متأنية لهاتين المقطوعتين، في مقابل ما تذكره الأخبار عن حكاية خداع زوجة الشاعر جمرة له، وعودتها لرحاب كنف زوجها الأول، خارقة بذلك العهد الذي قطعته معه، بان لا تخونه و لا تترك أولادها منه، فلو أجرينا هذه المقابلة لتبين لنا أن الشاعر وعلى الرغم من هذا الخداع من قبل زوجته له، فأنه لا يقف موقفا صارما وواضحا من هذا الخداع، ترى ما السبب في ذلك ؟ لعل السبب في ذلك أمرين لا ثالث لهما، الأول هو حبه لها فضلا عن ذلك وفاؤه لحقها، كونها أم لأولاد منه، وأنها عاشت

(32) الأغاني: ٢٢/٢٧٨. وشعر النمر بن تولب: ٣٨.
(33) شعر النمر بن تولب: ٧٩ .

معه حياة ليست بالقصيرة أحبها خلالها كثيرا وتعلق بها، ويدلل على ذلك ورود اسمها في قصائده ومقطوعاته [34].

أما الامر الثاني وهو أن في مقابل هذا الوفاء من الشاعر لزوجته جمرة، فان جمرة لم تتركه كارهة له، بل تركته امتثالا ووفاء لقيم اجتماعية تحتم عليها ذلك، كونها قد تزوجت من النمر بن تولب زواج ما يسمى بالأخيذة إذ كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب وكان سيدا معظما فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأة منهم يقال لها جمرة بنت نوفل فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته فحبسها حتى استقرت وولدت له أولادا "[35] ولكن على الرغم من استقرارها في كنف النمر، وحسن معشارته لها وشدة تعلقه بها، فإنها تترقب الفرصة المناسبة للرجوع لزوجها الأول، وفاء منها للقيم الاجتماعية التي طالما تدفعها في تجاه تركه والرجوع لزوجها الأول، لا كرها للنمر بن تولب، وهذا ما يتضح من خلال البيت الاخير من المقطوعة الأولى، والذي يبين فيه الشاعر حيرة زوجته جمرة عندما تركته، اذ يقول[36]:

وصَدَّتْ كأنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ قِناعِها بَدا حاجِبٌ مِنْها وضَنَّتْ بِحاجِبِ

فموقف شاعرنا من خداع زوجته لا يخفي مدى تعلقه بها ووفائه لها فهي كالشمس، كما هي في المقابل وعلى الرغم من خداعها له، لا تنفي حبها وميلها و وفاءها للشاعر، فهي تريه بعض جمالها لأنها تحبه وتخفي عنه البعض الأخر لأنها أقدمت على فراقه .

ويظهر لنا الشاعر في معرض كلامه عن الشباب والشيب، عتابه على أزواجه اللواتي بدأن يسوفن في احترامه و تقديره، كونه قد علاه الشيب، فيتهمهن بالجهل، وإخلاف عهود المودة والوصال التي كانت بينهم، فيقول[37]:

وأَصْبَحْتُ قَدْ أَعْرَضْنَ عَنِّي وسؤنني وأَخْلَفَنني عَهْدُ الخَلِيلِ المُماطِلِ

(34) ينظر: بداية هذا المبحث.
(35) الأغاني: ٢٢/ ٢٧٨.
(36) شعر النمر بن تولب: 38.
(37) المصدر نفسه: 96.

ألا إنَّ شَـيْبَ الـرَّأْسِ لَـيْسَ بِآفَـةٍ تُضِـيْرُك إلاَّ فـي النِّسـاءِ الجَواهِـلِ

ويشير الشاعر إلى نزاع جرى بينه وبين صديق له اسمه وهب من ربيعة على بئر ماء اسمه الدحول، وكان الشاعر قد سقا وهب فلم يشكر له، فقال فيه[38]:

يُريـــدُ خِيَـــانَتِي وَهْـــبٌ وأَرْجُـــو مـــنَ اللهِ البـــراءَةَ وَالأمانَـــا
فَـــإِنَّ اللهَ يعْلَمُنِـــي وَوَهْبـــاً ويعْلَـــمُ أنْ سَـــنلقَاهُ كِلانـــا
وَإِنَّ بنـــي رَبِيعَـــةَ بَعْـــدَ وَهْـــبٍ كَرَاعِـــي البيـــتِ يَحْفَظُـــهُ فخانَـــا
ولكـــنَّ الـــدَّحُولَ إذَا أتَاهَـــا عِجـــافُ المَـــالِ تتْرُكُـــهُ سِـــمَانَا

فيظهر الشاعر من خلال هذا النزاع، حرصه الشديد على الأمانة والوفاء في تأديتها، ذاما بذلك خيانة وهب له، وجاعلا الله حكما في الفصل بينه وبين صديقه يوم الحشر، ومؤكدا أن خيانة وهب له تمثل خيانة ربيعة كلها .

ويصرح شاعرنا بعدم اعتزازه بأخواله بني سعد، كونهم متسمين بالغدر والخيانة التي تتناف مع سلوكه وسلوك أعمامه، فيقول [39]:

إذا كنـتَ فـي سَـعْدٍ وأمُّـكَ مـنهمُ غريبـاً فَـلا يغـرُرْكَ خَالُـكَ مِـنْ سَـعْدِ
فَـإِنَّ ابـن أخـت القـوم مُصْـغىً إنـاؤهُ إذا لـم يُـزاحمْ خالَـهُ بـابٍ جَلْـدِ
إذا مَـا دَعَـوْا كَيْسَـانَ كانـتْ كُهُـولُهمْ إلـى الغَـدْرِ أدْنَـى مَـنْ شَـبَابِهِمُ المُـرْدِ
فـإنْ تـكُ أثـوابي تَمـزَّقن عـن بلـىً فـإني كنصـلِ السّيف فـي خَلَـق الغمـدِ

فالشاعر يجعل الغدر والخيانة لازمة لأخواله قديمة فيهم، وأنها أقرب لشيوخهم من شبابهم، ويشير إلى أن الإنسان بجوهره وسمو معدنه، لا بشكله ومظهره الخارجي، وهو بهذا يريد أن يبين رفعة أصله ويفخر بنفسه على عكس أخواله، إذ يبقى الشاعر وفيا لأخلاقه متمسكا بوفائه، لا يعذر من يخون، ولا يحابي من يشد عن السلوك السليم كما

(38)المصدر نفسه: 122.

(39) النمر بن تولب: 125–126، اصغيت الاناء: اي نقصه، كيسان: اسم للغدر.

يراه، حتى وإن كان أقرب الناس إليه وأخصهم قربة، ومن هنا كان موقفه مع أخواله، معلنا براءته منهم وبقاء جلده من قرابتهم، وما وراء ذلك إلا بسبب عدم وفائهم لعهودهم وخيانتهم التي جعلته لا يرتدع عن معاتبتهم والتبرؤ منهم .

الكرم والبخل :

ان الكرم صفة خلقية عرفها العربي وتمسك بها كثيرا، حتى وصل الى درجة الافتخار بها، ويعرف الكرم بانه انتصار على شح النفس، وبذل للمعروف في كل وجه وكل وقت، لا يُعجب ضعاف النفوس، لخشيتهم الفقر، فالضيف بطبيعة الحال له مكانة عند العربي، لذلك وجب احترامه وتقديره واعطائه حقوق الضيافة، حتى ابّنَ الشعراء من مات وهو يتمتع بهذه الصفة الكريمة، لأنه يخلُد ذكره. ومن خلال حديثه عن صراع يجري بين وجهتي نظر مختلفتين، بين الشاعر وزوجته العاذلة وأخيه المعاتب وابنه الطالب للدعة و الراحة، وكذلك يظهر الشاعر من خلال صراع آخر داخل النفس الواحدة، فضلا عن أمور اخرى اعتمد عليها الشاعر، التي سنتطرق اليها في ثنيات هذا المبحث ان شاء الله .

فالشاعر يصور زوجته، على أنها تمثل التيار المخالف له و لقيمة الكرم، إنه الحرص الذي يدعو الشاعر إلى إمساك ماله وعدم إنفاقه على الآخرين، إنها امرأة تلوم وتعذل زوجها على إنفاقه وبذل ماله للفقراء والمساكين، وهذا اللوم يتكرر دائما من زوجة الشاعر فيما بعد، ترى ماذا عساه أن يفعل كي يحد من عذلها ولومها، وما الطريق إلى أقناعها ؟ إن الشاعر ينهج كل أساليب الإقناع لكي يغير نظرتها تجاه الكرم، فيقول[40]:

أعــاذِلُ إنْ يُصْــبِحْ صَــدايَ بِقَفْــرةٍ بَعِيْــداً نــآنِي صــاحِبِي وقَرِيْبِــي
تَــرَيْ أنَّ مــا أبْقَيْــتُ لَــمْ أكُ رَبّــهُ وأنَّ الــذي أمْضَــيْتُ كــانَ نَصِــيْبِي

(40) شعر النمر بن تولب: 39-40.وينظر الصورة الفنية في المفضليات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية، زيد بن محمد بن غانم الجهني، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ط1 1425م، 404. وينظر شعرنا القديم والنقد الجديد، وهب احمد رومية، عالم المعرفة ، الكويت،1996م، 291.

يخاطب الشاعر عاذلته في هذين البيتين من أجل أن يستميل ودها ويحد من عذلها، فالشاعر هنا يصور حاله لزوجته في المستقبل المحتوم إنه الموت، فكلمة (صداي) جاءت معبرة عنه والذي سيجعل الشاعر عندها بعيدا عن الاصحاب والأقارب، حينها لا يراعى مالا، بل إن نصيبه ما أنفقه على الآخرين، فالشاعر يؤمن بأن ما بذله من الخير فهو له، ومن نصيبه، أما ما تبقى فليس بصاحب له .

وهذه النظرة متأثرة بحديث النبي (ﷺ)كما روي عن عائشة – رضي الله عنها – انهم ذبحوا شاة، فقال النبي (ﷺ): «ما بقي منها ؟ » قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: «بقي كلها غير كتفها»)[41]، فالذي بقي هو الذي ضاع، ولكن الذي تصدق به فهو الباقي عند الله .

ولم يكتف الشاعر بهذه الحكمة الرائعة فحسب بل يسوق مثلا بقصة ذات عبرة في أن المال معار والأحوال في تبدل، فغني اليوم قد يفتقر غدا، وما كان عامرا اليوم سوف ياتيه يوم يهدم ويندرس، فعلام الحرص على هذه الحياة التي لابد أن تزول يوما، فيقول[42]:

وذِي إِبِــلٍ يَسْــعَى ويَحْسِــبُها لَــهُ أخِــي نَصَــبٍ فــي سَــقْيها ودَؤوبِ
غَــدَتْ وغــدا رَبٌّ سِــواهُ يَسُــوقُها وبُــدِّلَ أحْجــاراً وحــالَ قَلِيْــبِ

أن الشاعر يريد أن يقنع زوجته العاذلة من خلال هذه القصة الشبيهة بالو اقع، فيبين لها أن هذه الإبل التي قد تعب واجتهد في رعايتها اجتهادا شديدا في إطعامها وسقيها وتمريضها وحمايتها وحلبها حتى صار أخا للنصب والشدة – الدؤوب – من رعايته لها، وكل هذه المشقة لتكون الإبل في ما بعد لغيره من الورثة، فعلام العذل واللوم على فعل الكرم .

(41) الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٤/٦٤٤.

(42) شعر النمر بن تولب: ٤٠– ٤١.

لذلك يرى الشاعر أن على الكريم أن يظل جوادا وهوبا – بصيغتها المبالغة – بماله على الاخرين، وذلك بما تسعى يداه، حتى وإن حلت به المصائب، فهو يهب ويعطي كل ما يستطيع أن يهبه، فيقول[43]:

وكـــائِنْ رَأَيْنـــا مِـــنْ كَـــرِيمٍ مُـــرَزّإٍ أَخِـــي ثِقَـــةٍ طَلْـــقِ اليَـــدَيْنِ وَهُـــوبِ

ولما رأى الشاعر إصرار زوجته على العذل واللوم، وعدم تغير نظرتها تجاه فعل الكرم، يأتي تقريعه لها ولفعلها، واصفا عذلها وخطابها له بالقبح وأنه ليس صوابا، فيقول[44]:

وقالَـــتْ ألا فاسْـــمَعْ نَعِظْـــكَ بِخُطْبَـــةٍ فَقُلْـــتُ سَـــمِعْنا فـــأنْطِقِي وأَصِـــيْبِي
فَلَـــنْ تَنْطِقِـــي حَقّـــاً ولَسْـــتِ بأهْلِـــهِ فَقُبِّحْـــتِ مِمَّـــا قائِـــلٍ وخَطِيْـــبِ

كما أن الشاعر تعرض للوم زوجته على إثر إضافته قوما فى الجاهلية، فعقر لهم أربع قلائص، واشترى لهم زق خمر، فأبدت زوجته جزعا شديدا من هذا الفعل خشية على نفسها وعيالها الفقر والعوز، وبهذا لفتت نظر زوجها، فانبرى يخفف جزعها وخوفها من الفقر، فيقول[45]:

قَالَـــتْ لِتُعْـــذِلَنِي مِـــنَ اللَّيْـــلِ أسْـــمَعِ سَـــفَهاً تَبَيّتُـــكِ المَلامَـــةَ فـــاهْجَعِي
لا تَعْجَلِـــي لِغَـــدٍ وأَمْـــرُ غَـــدٍ لَـــهُ أَتَعَجَّلِـــيْنَ الشَّـــرَّ مـــا لَـــمْ تُمْنَعِـــي
قَامَـــتْ تُبَكِّـــي أَنْ سَـــبَأْتُ لِفِتْيَـــةٍ زِقّـــاً وخَابِيَـــةَ بِعَـــوْدٍ مُقْطَـــعِ
لا تَجْزَعِـــي إنْ مُنْفســـاً أَهْلَكْتُـــهُ وإذا هَلَكْـــتُ فَعِنْـــدَ ذَلِـــكِ فـــاجْزَعِى
وقَرَيْـــتُ فـــي مَقْـــرى قَلائِـــصَ أرْبَعـــاً وقَرَيْـــتُ بَعْـــدَ قِـــرى قَلائِـــصَ أَرْبَـــعِ
أَتَبَكِيـــا مِـــنْ كُـــلَّ شَـــيْءٍ هَـــيِّنٍ سَـــفَةٌ بُكـــاءُ العَـــيْنِ مـــا لَـــمْ تَـــدْمعِ

(43) المصدر نفسه: ٤١.
(44) المصدر نفسه: 43.
(45) المصدر نفسه:٧١ –٧٣، السفه: خفة العقل، الخابية: الجرة العظيمة، العود: المسن من الإبل،المقطع: البعير الذي قطع عن الضرب، المنفس: المال النفيس، قريت الضيف: أضفته، القلائص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة.

أن الشاعر يشير إلى وقت عتاب زوجته له، وهو وقت الليل الذي يكون فيه الزوج بحاجة للزوجة لدواعي الراحة من تعب النهار، فتستغل الزوجة هذا الوقت لتعبر عن خوفها من الفقر والعوز بسبب فعل زوجها، مظهرة حرصها الشديد على ضمان مستقبل عيالها، فينبري لها الشاعر ليخفف عنها روعها وخوفها من المستقبل المجهول ذي العوالم الغائبة، فالشاعر لا يجد لزوجته العاذلة المبرر المقنع الذي يدفعها ضد فعل الكرم الذي قد تمثل في سلوكه، لاسيما مع وجوده على قيد الحياة فهو ضمان أكيد لها ولعيالها في إبعاد شبح العوز والفقر عنهم وتوفير الحياة السعيدة كذلك، وهذا ليس ببعيد عن فارس شجاع يجلب الغنائم من وقت لآخر .

ولما رأى الشاعر عدم اقتناع زوجته لفعله، وتغير نظرتها تجاه الكرم والسخاء، حاول الشاعر أن يبحث في ذاكرته عن مثال يهتدي به يمكن من خلاله أن يقنعها ويحد من عذلها ولومها، فوجد في عادياء وبيته وفى زرقاء اليمامة – عنز – وأهلها ضالته، فيقول[46]:

هَـــلاَّ سَـــأَلْتِ بِعادِيـــاءَ وبَيْتِـــهِ والخَـلِّ والخَمْـرِ التـي لـم تُمْنَـعِ[47]

ان الشاعر يريد أن يبين لزوجته أنه لن يبق لا هو ولا ماله مخلدا كما لم يبق عادياء وبيته على الرغم مما فيه من الغنى والجاه، أنه يقول لها: "هل سألت عن عادياء، وعن حصانة منزله، وهلا سألت أيضاً عن خيره عند أودّائه، وشره عند أعدائه، كيف لم ينفعاه، فيردا عنه الموت "[48]، فعلام اللوم و العذل على فعل انكرم مادام الموت مصير

(46) شعر النمر بن تولب: ٧٣.

(47) عادياء " هو أبو السموأل اليهودي الغساني، المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، 1417هـ- ١٩٩٦م.: ٥/٥١.

(48) الإختيارين، صنعه علي بن سليمان الاخفش الأصغر، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٤م: ٢٧٠.

كل حي كما حدث بالأمم السابقة – عادياء وبيته – ثم يستطرد الشاعر ليدعم اقناعه لزوجته بتضمين شعره قصة زرقاء اليمامة، [49]:

وَفَتَـــاتِهِمْ عَنْـــزٍ عَشِـــيَّةَ آنَسَـــتْ مِـنْ بَعْـدِ مَـرْأى فـي الفَضَـاءِ وَمَسْـمَعِ
قَالَـــتْ أَرَى رَجُـــلاً يُقَلِّـــبُ نَعْلَـــهُ أُصُـــلاً وجَـــوّ آمِـــنٌ لَـــمْ يَفْـــزَعِ
فَكَـــأَنَّ صَـــالِحَ أَهْـــلِ جَـــوَّ غُـــدْوَةً صُـــبِحُوا بِـــذَيْفانِ السِّـــمامِ المُنْقَـــعِ
كَـــانُوا كَـــأَنعَمِ مَـــنْ رَأَيْـــتِ فَأَصْـــبَحُوا يَلـــــوونَ زادَ الرَّاكِـــــبِ المُتَمَتَّـــــعِ
وَرَأَتْ مُقَدَّمَـــــةَ الخَمِـــــيسِ وقَبْلَـــــهُ رَقَـصُ الرِّكَـابِ إلـى الصَّـباحِ بِتُبَّـعِ
قَالَـــتْ يَمامَـــةُ إحْمِلُـــونِي قائِمَـــاً إنْ تَبْعَثُـــوهُ بَارِكَـــاً بِـــيَ أُضْـــرَعِ

إن توظيف الشاعر لهذه القصة التي قد سبقه إليها شعراء آخرون وبمواقف مختلفة[50]، وذلك ليدلل من خلالها على فناء الحياة وذهاب النعم، فعلى الرغم من عيت قوم زرقاء اليمامة بنعمة و خصب لكن عسر عليهم أن يزود راكبا بعد أن غزاهم أبو حسان بن تبع لانهم لا يقدرون على ذلك[51]، فالذي استحوذ على فكرة الشاعر في هذه القصة هو تقلب حال قوم اليمامة من الغنى والجاه إلى الفقر والاستكانة بعد أن استباحهم حسان، وكذلك هو الاخر معرض لفناء امواله وتقلب حاله .

(49) شعر النمر بن تولب: ٧٤ ٧٥، عنز :هي زرقاء اليمامة وهي امرأة من طسم سباها أبو حسان بن تبع الر غزوه لقومها، وقيل أنها من جديس كانت تبصر من مسيرة ثلاث أيام، وفتاتهم: يريد طسم وجديس، وكنى عن أسمائهم، وتوهم أنهم قد عرفوا، حين أضاف عنز إليهم، الذفيان: السم القاتل، والسمام. جمع سم، والمنقع: كل ما ينقع بالماء ونحوه، تبع: أبو حسان بن تبع، الذي غزا جديس فقتلهم واستباح اليمامة.

(50)ينظر: ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف–القاهرة، ط٢، 1985م: 23. 25 وينظر: ديوان الأعشى، ميمون بن قيس شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين، المطبعة النموذجية، مصر، ١٩٥٠: ١٠٣.

(51) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ . 1998 م: 312/1 .

وبهذا يريد الشاعر أن يبين لزوجته العاذلة أن ليس لها مبرر تستند إليه، في اللوم والعذل من فعل الكرم، ما دامت الحياة مصيرها التبدل ومآلها التقلب، كما انقلبت بقوم اليمامة.

إن الشاعر بهذا جعل من نفسه معادلا موضوعيا لبطلة هذه القصة اليمامة – عنز –وذلك في الدقة والتبصر في تقدير الأمور ومحاولة الكشف عن بواطنها، فالشاعر يدعو دائما إلى ما بعد الواقع الظاهر إلى المستقبل، واكتناه بواطن الأمور، إنه يدعو لخلود اسمه وترك ذكرا طيبا و ثناء حسنا يردده الناس في حياته وبعد موته من خلال فعل الكرم الذي قد تمثل في سلوكه وكيانه، بعكس زوجته التي لا تتعدى نظرتها للأشياء الوقع الظاهر، وبهذا يصدق عليها أن تكون بديلا موضوعيا لقوم اليمامة وذلك بأنهم لا يملكون القدرة على التبصر والتميز كما تملكها اليمامة – الشاعر – " فقد كانت زرقاء اليمامة ترى الجيوش خيلها ورجلها، وتحزر أعدادها من مسيرة ثلاثة أيام، وتتدر به قومها، وقد تواتر الخبر عنها بذلك، وضرب بها المثل[52]، فعندما أخبرت اليمامة قومها بما ترى من شجر يتحرك، ورجل يخصف نعله يقلب نعله–، وأن جيش الخميس– تبع يتقدم إليهم كذبها قومها، فوقع الأمر على ما أخبرت به فصبحهم أبو حسان (تبع) فقتلهم واستباح اليمامة، فكأن الشاعر يريد أن يخبر المتلقي أنه ملك القدرة على الكشف عن بواطن الأمور ما لا تملكه زوجته العاذلة .

وبهذا استطاع الشاعر أن يظهر رسوخ قيمة الكرم العربي رسوخا ثابتا في كيانه وأصلا من أصوله، من خلال تأكيده على تقلبات الأمور وأحوال الحياة، ومن خلال النظر إلى الأشياء على بصيرة وبعد نظر، أن الشاعر استطاع أن يجعل الكرم الذي قد مثل في سلوكه هو المنتصر، في مقابل البخل المدحوض الذي كانت زوجته العاذلة تمثله .

(52) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر والبيان في أعجاز القرآن، ابن ابي الأصبع المصري ت (٦٥٤ هـ) القاهرة، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م: ١/ ٦٢.

ولما خرج الشاعر بعدما كبر في إبله فسأله سائل فأعطاه فحل إبله فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها فهتفت به زوجته، وواصلت تعاتبه وتلومه على فعله، ولكنه في المقابل لم يكترث بهذا اللوم والعتاب، قائلا لها[53]:

دَعِيْنِـــــي وأَمْـــــرِي سَـــــأَكْفِيْكِهِ وكُـــوْنِي قَعِيْـــدةَ بَيْـــتٍ ضُـــباعا
فَإنَّـــكِ لَـــنْ تَرْشُـــدي غاوِيـــاً ولَـنْ تُـدْرِكِي لَـكِ حَظَّـاً مُضـاعا

وواصل الشاعر وصف نفسه بالكرم حتى أصبح أصلا من أصوله، واتجاها بارزا في فكلما عاتبته زوجته على كرمه، ولامته على بذله وعطائه، زادت عنده نشوة التحدي تجاه هذا اللوم والعتاب، وقوة تقته بما يفعل وذلك لأنه يعلم أنه على صواب، فيقول[54]:

بَكَـــــرَتْ بِـــــاللّوْمِ تَلْحانـــــا فِـــي بَعِيْـــرٍ ضَـــلَّ أوْ حَانَـــا
عَلِقَـــــتْ لَـــــوّاً تُكَرِّرُهـــــا إنَّ لَـــــــوّاً ذاكَ أعْيَانَـــــا
اعْلَمِـــــي أنْ كُـــــلُّ مُـــــؤْتَمِرٍ مُخْطِـــئٌ فِـــي الـــرَّأْيِ أَحْيَانَـــا
فَـــإذا مـــا لَـــمْ يُصِـــبْ رَشَـــداً كَـــانَ بَعْـــضُ اللَّـــوْمِ ثُنْيَانـــا

فنلحظ من خلال هذه الأبيات شدة تمسك زوجة الشاعر بموقفها الضدي والسلبي تجاد الكرم، فهي بادرت صباحا – بكرت – تلح زوجها باللوم والعتاب في بعير قد أكرم به، فهي مصرة على أن تكون التيار المخالف للكرم، كما أن الشاعر في المقابل عازم على تغيير نظرتها تجاه هذه القيمة الاجتماعية الرفيعة، وذلك من خلال توجيه النصيحة الزوجية لها هذه المرة، والتي فحواها أن كل من يركب رأسه وهواه دون مشورة الاخرين

(53) شعر النمر ين تولب: ٧٦، قعيدة بيت الرجل: امرأة، وضباعا: اسم امرأة وقد حذفت التاء للترخيم.

(54) المصدر نفسه:120–121، حان البعير: هلك، المؤتمر: الذي يركب رأسه، والثنيان: الكلام المعاد وهو من الاضداد.

الذين لهم خبرة وتجربة بالحياة يكون مخطئا أحيانا، وعند خطئه يرميه الناس مرتين: مرة لركوبه الأمر بغير مشورة، ومرة ثانية لأنه أخطا(55):

فنستوحي من هذا مدى صبر الشاعر، وتحليه بقدر كبير من الحكمة إزاء لوم وعذل زوجته له، والذي يحاول من خلالها أن يستوعب إصرارها وجهلها وضعف قابليتها في مواجهة هذا الخلق الرفيع الكرم– الذي قد تعالى في شعره حتى أصبح من الاتجاهات المتميزة فيه.

ولا تتوقف نصائح الشاعر تجاه الآخر اللائم و العاذل لفعل الكرم، بل يبين له أن الحق محاسبة النفس في البخل والكرم دون محاسبة الآخر، ومبينا كذلك للآخر أنه إذا أصابته جائحة من جوائح الفقر والعوز فما عليه إلا أن يطلب الزرق ليرزقه الله، فيقول(56):

لا تَعْضَبَنَّ على امْرِئٍ في مَالِهِ وعلى كَرائِمِ صُلْبِ مالِكِ فاغْضَبِ
وإذا تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فارْجُ الغِنَى وإلى الذي يُعْطِي الرَّغائِبَ فارْغَبِ

وعندما يكون الشاعر مدفوعا برغبة كبيرة تجاه الكرم والعطف ورعاية الفقراء والمحتاجين، يأتي لوم وعتاب أخيه هذه المرة بدلا من زوجته، ليشكل التيار المخالف لقيمة الكرم، فأخوه يرى إنفاق الشاعر ماله على الفقراء والمحتاجين هو تضييع للمال وهدرا له، فالشاعر لا يأبه بهذا الوصف واللوم ويمضي قدما في ممارسته قيمة خلقية حميدة، تسمو بصاحبها وتدعم مكانته الاجتماعية بين أفراد قومه، فيقول(57):

يَلُومُ أخِي عنى إهْلاكِ مالِي وما إنْ غَالَهُ ظَهْرِي وبَطْنِي
ولا ضَيَّعتُهُ فَأُلامُ فِيْهِ فإنَّ ضَياعَ مَالكَ غَيْرُ مَعنِ

(55) غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م: ٣٣١/١.

(56) شعر النمر بن تولب: ٤٤ الرغيبة: العطاء الكثير.

(57) المصدر نفسه: 118. 119 ، غاله: ذهب به وأهلكه، غير معن: غير يسير ولاهين،الضفن: الذي يجئ مع الضيف.

ولَكِـــنْ كُـــلُّ مُخْتَـــبِطٍ فَقِيْـــرٍ يَقُـولُ ألا أسْـتَمِعْ أُنَبِئْـكَ شَـأْنِي
ومسـكِينٌ وأعْمَـى قَـالَ يَوْمـاً أَغِثْنِـي للآلـهِ ولا تَـدعنِي
وإعْطـائِي ذَوِي الأرْحـامِ مِنْـهُ وتَوسِـيْعِي لِـذِي عَجـزٍ وضَـفْنِ
أقِـي حَسَـبي بـهِ ويَعـزُّ عِرْضِـي عَلَـيَّ إذا الحَفِيظَـةُ أدْرَكَتْنِـي

فالشاعر يبين لأخيه أنه لم يهلك ماله من أجل اللباس والجماع ظهري– ولا من أجل الأكل والشرب بطني–، وإنه لم يضيع ماله في ملذات الحياة أو لسوء تدبير فيه، غير أنه يعطيه للفقراء الذين تربطه بهم قرابة و معرفة – ذوي الارحام ، فضلا عن إعطائه للسائل الذي لا تربطه به آصرة قرابة ومعرفة – مختبط فقير ، إنه ينفق ماله على ذي الحقوق الذين من الواجب عليه أن يرعاهم و ينفق عليهم (المختبط الفقير والمسكين والأعمى والعاجز والضفن) فالشاعر يؤمن أن إنفاقه على هذه النماذج ليست مضيعة ولا مهلكة لماله، أنما هو كسب، وفخر وذكر طيب وثناء حسن يردده الناس بعد موته، وبه يصون عرضه من الذم.

يؤمن كذلك أن المال لن ينفعه حين يدركه الموت، وأنه لا يرده في حال من الأحوال، فمن هنا ينبغي على كل فرد أن لا يبخل بماله، وأن لا يكون لماله قوة تصرفه عن مكارم الأخلاق والذكر الحميد بعد وفاته، وذلك لأن كرمه وجوده وعمله الصالح هو الذي يخلده لا حسبه ولا ماله، فيقول(58):

وأعْلَـــمُ أنْ سَـــتُدْرِكُنِي المَنَايـــا فَـــإنْ لا أَتَّبِعْهـــا تَتَّبِعْنِـــي
رَأَيْـــتُ المـــانِعِين المَـــالَ يَوْمـــاً مَصِـــيْرُهُمُ لِلْقَـــاءِ فَـــدفْنِ

إن الشاعر استطاع وبكل اقتدار أن يبسط الأفكار والمضامين الخلقية الحميدة التي اتسمت بها شخصيته الكريمة في مقابل البخل الذي تمثل باللوم والعتاب الذي وجه إلى الشاعر سواء من زوجته أو أخيه.

(58) شعر النمر بن تولب: ١١٩.

ويأتي الشاعر بصراع اخر بين الكرم والبخل وذلك من خلال موقفه من دعوة ابنه ربيعة في ترك البادية والذهاب معه إلى المدينة هذه المرة، فيقول[59]:

وأنْـــتَ وَهَبْتَهـــا كُوْمـــاً جِـــلاداً أرجِّـــي النَّسْـــلَ منهـــا والنِّتاجـــا
فَلَسْـــتُ بِحـــارِمِ الأضْـــيافِ مِنْهـــا وجاعِـــلِ دُونهُـــمْ بـــابِي رِتاجـــا
وتَـــأْمُرُنِي رَبِيْعَـــةُ كُـــلَّ يَـــوْمٍ لأشْـــرِيَها وأقْتَنِـــيَ الـــدَّجاجا
ومـــا تُغْنِـــي الـــدَّجَاجُ الضَّـــيفَ عَنِّـــي ولَـــيْسَ بِنـــافِعِي إلاَّ نِضَـــاجا
أأُهْلِكُهـــا وقَـــدْ لا قَيْـــتُ فِيْهـــا مِـــرَارَ الطَّعْـــنِ والضَّـــرْبَ الشِّـــجاجا
وتَـــذْهَبُ بَـــاطِلاً غَـــدَواتُ صُـــهْبَى علـــى الاعْـــداءِ تَخْـــتَلِجُ أخْتِلاجـــا
جَمُـــومُ الشَـــدِّ شـــائِلَةُ الـــذُّنابَى تَخـــالُ بَيـــاضَ غُرَّتِهـــا سِـــراجا
وشـــدِّي فـــي الكَرِيْهَـــةِ كُـــلَّ يَـــوْمٍ إذا الأصْـــواتُ خالَطَـــتِ العَجاجـــا

إن الشاعر يجعل نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إما رفضه لدعوة ابنه والتي تمثل البخل كما يراها، وإما الإعراض عنها وتثبيت قيم الجود والكرم، ترى أيهما يختار ؟ أيبدل البادية التي عاش فيها بالمدينة ؟ أيبيع ما وهبه الله إياه من إبل ليشتري الدجاج ؟ أيهلك إبله التي لاقى فيها مرار الطعن والضرب الشجاع ؟ أيذهب غدوات فرسه على الأعداء باطلا ؟ ترى ما السر وراء كل هذه الإستفهامات؟.

إنه التدليل على رفض الشاعر لدعوة ابنه، فبيع الإبل يعني عنده إهلاكها، وذلك لانه ببيعها سيحرم ضيفه منها، ومن دم يستبدل إقراءه للضيف بالدجاج الذي لا يغني عن واجب القرى، فهو لا يبدل البادية بالمدينة، لأن هذا يعني تخليه عن فرسه، و هو فارس والفارس لا يمكن أن يستغني عن فرسه. وبهذا يرفض الشاعر دعوة ابنه ويتمسك بمجتمعه وبقيمه الاصيلة التي على رأسها الكرم .

(59) المصدر نفسه: 46 – 48، الكوم: جمع كوماء وهي الناقة العالية السنام، الجلاد: الصلاب الكبار، لأشريها: لأبيعها، شائلة الذنابى: يعني أنها ترفع ذنبها عند العدو.

إن ما يمكن أن نلحظه في شعر شاعرنا وحتى فيما تقدم من الكلام، هو ربطه الدائم بين الكرم والفروسية، فالغزو والغارة ليست عنده وسائل للغنى وجمع المال فحسب ولكنها أيضا وسائل للبذل والعطاء واكتساب المحامد والتشبه بالسادة الأغنياء في الكرم الجود[60].

فالفروسية تمثل عند الشاعر أهم الوسائل في تحصيل المال الذي يجود به فيما بعد، أن الكرم والفروسية تمثلان عند الشاعر نتائج متبادلة، فبالفروسية تجلب الغنائم التي تحقق للشاعر ما يسعى إليه من الكرم الذي يحقق له ذاته ووجوده بين أفراد قومه، ولاسيما الفقراء والمحتاجين منهم، كما إن ممارسة قيمة الكرم في المقابل تدفع الشاعر إلى الفروسية، والتي تؤهله أن يكون سيدا ذا شأن وفارسا مقداما تنتابه القبيلة في مهمات كثيرة وعظيمة، فالكرم والفروسية يلتقيان عند شاعرنا دائما، ومن هنا صار لزاما علينا أن نقف عند فروسية هذا الشاعر الكريم والذي يصورها لنا من خلال دعوته للمخاطرة بالنفس في سبيل الحصول على المال، ووصفه لفرسه وسيفه، و مشاركته مع فرسان قومه في الغزو والقتال وامتيازه عنهم في رئاسته للجموع وشجاعته .

ان تمسك الشاعر بقيم الفروسية دعوة لتربية النفس واكتساب المعالي، فالشاعر يدعو الإنسان أن يختار الشجاعة والسعي في تحصيل الأموال في مقابل الجبن والقعود، وأن يكون مخاطرا بنفسه مشاركا غيره من الفرسان باغتنام الأموال والإبل، وألا يكون من أهل القعود والجلوس مع العيال وذلك لأن القعود مع العيال فعل قبيح ومذموم كونه لا يجلب الغنائم، ومن ثم لا يستطيع أن يكرم ويذهب عنه ذل البخل، فيقول[61]:

خاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً إنَّ الجُلُوس مَعَ العِيالِ قَبِيْحُ
فالمالُ فِيْهِ تَجِلَّةٌ ومَهابَةٌ والفَقْرُ فِيْهِ مَذَلَّةٌ وقُبُوحُ

(60) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د.يوسف خليف، دار المعارف، مصر: ٣٩.
(61) شعر النمر بن تولب: ٤٩.

إن الشاعر يضع الفرد أمام خيارين، إما القعود المقرون بذل الفقر الذي يتضمن قله شان صاحبه وبخله على الآخرين، و إما المخاطرة بالنفس في سبيل الحصول على مهابة وتجلية المال والتشبه بالسادة الأغنياء في الكرم .

ان الشاعر استطاع وبكل اقتدار أن يقرن المال بلفظتي التجلية والمهابة لأنه يؤدي بدوره إلى الكرم والسيادة، و بهذا أثار المتلقي إلى تقبل واستحباب هذه اللفظة وما ينطوي تحتها من معان، وفي المقابل قرن الشاعر الفقر بالذل والقبح لأنه يؤدي بدوره إلى البخل والجبن، وبهذا أضاف إلى الفقر معنى جديدا يدعو المتلقي إلى النفور، والترفع عن هذه اللفظة.

كما إنه يدعو من خلال هذين البيتين إلى عدم العجز أمام الفقر المؤدي للبخل، لأن الغنى يعطي الفرد ببذله وعطائه للمحتاجين مهابة وجلالا بين أفراد قومه ومجتمعه .
إن من أهم الوسائل عند الشاعر في القتال وتحصيل الأموال التي يجود ويكرم بها هي فرسه التي تدعى بصهبى، ففرس الشاعر جاءت في شعره تتصف بالسرعة والقوة، وأنها تغلب طريدتها وإن كانت هذه الطريدة تريد الريح لتبرد أجوافها، فيقولا[62]:

لَقَدْ غَدَوْتْ بِصُهْبَى وَهْيَ مُلْهِبَةً إلْهابُها كَضِرامِ النَّارِ في الشِّيْحِ
جاءَتْ لِتَسْنَحَنِي يَسْراً فَقُلْتُ لها على يَمِينكِ إنّي غَيْرُ مَسْنُوحِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ تُرِيدُ الرِّيحُ مُصْعِدةً نَحو الجنوبِ فَعَزَّتْها على الرِّيح
ياوَيْلَ صُهْبَى قُبَيلَ الرِّيْحِ مُهْدِبَةً بَينَ النَّجادِ وبَيْنَ الجَزْعِ ذِي الصُّوْحِ

فقد وفق الشاعر في هذه الأبيات في إقران صفة النار ملهبة وإلهابها– بفرسه صهبي– فضلا عن تشبهها وهي تجري وراء الطريدة فوق التلال النجاد– وجوانب الوديان – الجزع– مع إثارتها الغبار، باشتعال النار في نبات سريع الاشتعال يسمى الشيح، وبهذا منح الشاعر هذه اللوحة قوة حركية تمكن من خلالها أن يظهر مدى فوة وسرعة فرسه

(62) شعر النمر بن تولب: ٥٠، الألهاب: أشد العدو، لتسنحني: أي لتمضي على يساري، تريدالريح: تستقبل الريح، وعزتها: غلبتها، الأهذاب: أشد العدو، والنجاد: ما أرتفع من الأرض في غلط، والصوح: صفح الجبال وجوائبه.

صهبى ، فالشاعر يفتخر بامتلاكه مثل هذه الفرس السريعة اللحاق بالطريدة، كونها تمثل له رمزا للقوة والشجاعة المتضمنة للكرم والعطاء .

كذلك يقف الشاعر في موضع آخر وقفة قصيرة عند فرسه فيصفها بالصلاح وأنها من خيرة الخيل وأفضلها، فهي سريعة نشيطة، فيقول(63):

لَنا فَرَسٌ مِنْ صَالحِ الخَيْلِ نَبتَغِي عَلَيْهَا عَطَاءَ اللهِ واللهُ يَنْحَلُ
يَرُدُّ عَلَيْنا العَيْرَ مِنْ بَعْدِ إِلْفِهِ بِقَرقَرةٍ والنَّقْعُ لا يَتَزَيَّلُ

ففرس الشاعر سريعة اللحاق بالصيد، فهي تصرع الذكر من الحمر الوحشي في الأرض المستوية التي ليس فيها أشجار قبل أن ينزل الغبار الذي يثار في أرض الصراع، وهذا غاية في شدة الجرى(64)، ان الشاعر مع وصفه هذا لفرسه فهو يؤمن إيمانا راسخا بأن ما يغنمه من غزو وصيد فهو من عطاء الله، لا بسرعه جري فرسه وهذا ليس ببعيد عن مسلم حسن إسلامه رضي الله عنه .

(63) المصدر نفسه: ٩١ – 90، ينحل: يعطي، القرقرة: القاع المستوى، والنقع: الغبار.

(64) ينظر: في شرح أبيات المغني، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٦٤: 10/5 .

فشاعرنا فارس كريم يعتز بفرسه صهبى وسيفه لأنهما يعدان من أهم أدوات القتال في الغزو والصيد عنده، فيصف ضربة سيفه وصفا مفرطا حتى عاب عليه بعض النقاد[65] لغلوه فيقول[66].

أَبْقَــى الحَــوادِثُ والأيَّــامُ مِــنْ نَمِــرٍ أَسْــبَادَ سَــيْفٍ قَــدِيمٍ إِثْــرُهُ بــادِ
تَظَــلُّ تَحْفِــرُ عَنْــهُ إِنْ ضَــرَبْتَ بِــهِ بَعْــدَ الــذِّراعَيْنِ والسَّــاقَيْنِ والهــادِي

فالشاعر يصف ضربة سيفه بأنها إن ضربت به يترك في المضروب أثرا بل يغوص في الارض بعد الذراعين والساقين والهادي، فإذا جيء بهذا الوصف فإنما المراد منه " المثل وبلوغ النهاية في النعت[67] وبهذا نلحظ وبطريقة غير مباشرة قوة وشجاعة الضارب كونه فارسا مقداما.

إن هذا الفارس يشهد مع قومه المعارك والأيام والأحداث، ويقتفي آثار الخصوم، ويثبت يوم الجلاد[68]:

سَــــمَوْنا لِيَشْــــكُرَ يَــــوْمَ النّهــــابِ نَهُــــزُّ قَنــــاً سَــــمْهَرِيّاً طِــــوالاَ
فَلَمَّــــا الْتَقَيْنــــا وكــــانَ الْجِــــلادُ أَحَبُّــــوا الحَيــــاةَ فَوَلُّــــوْا شِــــلالا

إن الشاعر يثبت لخصمه من خلال هذه الأبيات، أن رماح فرسان قومه تتسم بالطول سمهريا طوالا وهذا ليس إلا ضرب من الشجاعة والأقدام، فوصف الرمح بالطول

(65) ينظر: الشعر والشعراء، ، ابن قتيبة (ت 276هـ)، تحقيق وشرح: أَحمد محمد شاكر ،دار المعارف، مصر– القاهرة:٣١١، ونهاية الأرب نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ – 2004م: ٧/ ١٢٥، والآلي في شرح أمالي القالي، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت ٤٨٧ هـ)، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م: 2/٨٩٥.

(66) شعر النمر بن تولب: ٥٣، الاسباد: البقايا، الهادي: العنق.

(67) نقد الشعر، قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)،، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: ٩٤.

(68) شعر النمر بن تولب:٩٥، يشكر: قبيلة في ربيعة، السمهرية: اسم رجل كان يقوم الرماح، الشلال: المتفرقين.

لا يراد به سوى قوة وشدة حامله، فالشاعر يفتخر بفرسان قومه، ويصف خصمهم عند ملاقاتهم أنهم يفرون خوفا من الموت وحبا للحياة، فالشاعر يمتاز عن فرسان قومه كونه يقود الجموع، و بهذا تتضح مكانته بين أفراد قومه، فيقول(69):

ويَـــوْمَ الكُـــلابِ رَأسْـــنا الجُمُـــوعَ ضِـــراراً وجَمْـــعَ بَنِـــي مِنْقَـــرِ

كما أنه يمتاز عن فرسان قومه، وذلك بإقامته وحراسته في أماكن يتقيها الناس ويستوحشون النوم فيها لما فيها من أصوات السباع والبوم، فيقول(70):

ومَنْهَـــلٍ لا ينـــامُ القَـــوْمُ حضـــرتَهُ مِـــنَ المَخافـــةِ أُجْـــنٌ مـــاؤُهُ ظـــامِي

قَـــد بِـــتُّ أحْرُسُـــهُ وَحْـــدِي ويَمْنَعُنِـــي صَـوْتُ السِّـباعِ بِـهِ يَضْـبَحْنَ وإلهـامِ

وعودا إلى بدء فإن الشاعر يصور صراعا آخر بين الكرم والبخل من خلال حسن ابله هذه المرة، فالشاعر يذكر زوجته بأيام كرمه بموضعي مليحة وهرار، وذلك بانه كان ينحر أحسن إبله وأجودها كثيرة اللحم عظيمة السنام صغيرة كانت أو كبيرة، فلا يمنعه حسنها وسمنها بأن يكرم بها للآخرين، فيقول(71):

هَـلْ تَـذْكُرِينَ جُزيـتِ أحْسـنَ صـالِحٍ أيَّامَنـــــا بِمُلَيْحَـــــةٍ فَهُرَارهـــــا

أزْمـــانَ لَـــمْ تَأخُـــذْ إلـــيَّ سِـــلاحَها إبِلِـــــي بجلَّتهـــــا ولا أبْكارِهـــــا

ابتَزَّهـــــا ألْبَانَهـــــا ولُحُومَهـــــا فَـــأُهينَ ذاكَ لِضَـــيفِها ولِجارِهـــا

فالشاعر لا يأبه بما تبديه إبله من حسن وسمن تقاوم بها صاحبها من أن يعقرها ويقدمها طعاما لأضيافه و لجاره، فالشاعر يفخر كذلك أن ينحر إبله لرفاقه في ليلة باردة

(69) شعر النمر بن تولب: ٦٧، منقر: بطن من تميم.

(70) المصدر نفسه: ١١٢ ، ١١٣.

(71) المصدر نفسه: ٦٢، الهرار: موضع متصل بمليحة، بجلتها: كبار الأبل، أبكارها: صغارها، ابتزها: أجردها.

– مشمولة – يعز فيها القوت والمال فهو كريم والكريم لا يمكن أن يتخلى عن كرمه فكيف إذا اشتدت الأيام وعصبة الحال، فيقول[72]:

ولرِفقـــةٍ فـــي لَيْلَـــةٍ مَشـــمُولةٍ نزلـتْ بِهـا فغَـدتْ علـى أسـآرِها
كـــانُوا يُسِـــيمون المَخـــاضَ أمامَهـــا ويُغـــرِّزون بِهـــا علـــى أغْبارهـــا
ولَقَـــد شَـــهدْتُ إذا القـــداحُ تُوحـــدتْ وشَـــهدتُ عنـــدَ اللّيـــلِ مَوْقـــدَ نارِهـــا
عَـــن ذاتِ أوْلِيـــةٍ أســـاودُ رَيَّهـــا وكـــأنَّ لَـــونَ المِلْـــحِ فَـــوقَ شِـــفارِها
فمَنحـــتُ بـــدأتها رَقيبـــاً جانحـــاً والنـــار تلفـــح وجهـــه بأوارهـــا
كَانَـــتْ عَقِيلَـــةُ مَالِـــهِ فَأذلّـــهُ عَـنْ بَعـضِ قِيْمَتِهـا رَجـاء بكارِهـا
حَتَّـــى إذا قُســـمَ النَّصِـــيبُ وأصـــفَقَتْ يَـــدهُ بِجلـــدةِ ضَـــرعِها وحُوارِهـــا
ظهـــرتْ ندامتُـــهُ وهـــانَ بِســـخطهِ ثنيـــاً علـــى مربُوعِهـــا وعـــذارِها

ان الشاعر لا يكرم الاخر في وقت السعة والغنى فحسب إنما يأتي الشاعر فيصور تلك الأيام بأنها أيام عوز وفاقة يعز فيها القوت والمال وهي أيام لياليها باردة – ليلة مشمولة – وتترك الإبل فيها لا تحلب لمدة ثلاث أيام ويغرزون بها على أغبارها – لجدب الأرض وقلة المرعى، فالشاعر يصور حال ذلك الزمان الذي لا يكون للشخص إلا قدح واحد يرمي به والنار حول القوم مشتعلة، و ذلك كله لشدة الزمان وجدبه ووطأته على الناس، فيفوز عندها الشاعر بالجزور وهي جزور سمينة وكبيرة فينحرها ويقسمها لرفاقه ولأضيافه حتى أنه لم يبق له منها شيئا، إن الشاعر وكما تعودنا في شعره يأتي فيصف ناقته بأحسن ما تكون كونها سمينة عظيمة السنام وفيرة اللبن، فيقول[73]:

وحُمْـــرٌ تَراهـــا بِالفَنـــاءِ كأنَّهـــا ذُرَا كُثُـبٍ قَـدْ مَسَّـها الطَّـلُّ تهطـلُ

(72) المصدر نفسه:62–64، ليلة مشمولة: باردة، الآسار: الحبل، الاغبار: بقية اللبن، المخاض: الحوامل من النوق، عقيلة ماله: أكرمه، أصفقت يداه: أي صادفته ووافقته، مربوعها وعذارها: الضرع والجنين.

(73) شعر النمر بن تولب: ٩١، العتيق: الشحم، المورد: ما نسل من عقيقة الجحش وصوف الشاة، النيّ: الشحم.

عَلَيْهـــا مِـــنْ الـــدَّهْنا عَتِيـــقٌ ومَـــورَةٌ مِـــنَ الحَـــزنِ كَـــلأً بِـــالمَراتعِ يَأكُـــلُ
فَقَـــدْ سَـــمِنَتْ حَتَّـــى تَظَـــاهرَ نَيُّهـــا فَلَـــيْسَ عَلَيْهـــا للـــرَّوادفِ مِحْمَـــلُ

ثم يأتي الشاعر بوصفه لراعي هذه الإبل بأنه هزيل وضعيف شاحب الجسم على عكس وصف إبله، ويبين الشاعر أن هذا الضعف ليس من قلة الطعام والفقر والدليل امتلاكه هذه الإبل التي تعد من أهم مقومات الحياة البدوية، فيقول[74]:

ففِـــي جِسْـــمِ راعِيهـــا هُـــزالٌ وشُـــحْبَةٌ وضَـــرٌّ ومـــا مِـــنْ قِلَّـــةِ اللَّحْـــمِ يُهْـــزَلُ

أن هذا الضعف في جسم الراعي والذي هو بديل موضوعي للشاعر ليس له سبب إلا الكرم على الآخرين، فضلا عن تتبع الأرض الخصبة لإبله، فيقول[75]:

فـــلا الجـــارة الـــدنيا لهـــا تلحينَّهـــا ولا الضـــيف فيهـــا ان أنـــاخ محـــول
إذا هَتَّكـــتْ أطنَـــابَ بَيـــتٍ وأهْلَـــهُ بِمَعطِنِهَـــا لَـــمْ يُـــوردُوا المَـــاء قَيَّلُـــوا
عَلَـــيْهِنَّ يَـــوْمَ الـــوِرْدِ حَـــقٌّ وذِمَّـــةٌ وهُـــنَّ غَـــداةَ الغِـــبِّ عِنْـــدك حُفَّـــلُ
وأقَمْعُنـــا فِيْهـــا الوِطـــابَ وحَوْلَنـــا بُيُـــوتٌ عَلَيْهـــا كُلُّهـــا فُـــوهُ مُقْبِـــلُ

فالراعي– الشاعر– لا يبخل بألبان نياقه على بيوت الجي الذين لا إبل لهم، ويبين الشاعر أن على الإبل يوم وردها حق و هو أن يسق من لبنها من حضر وردها، ويبين كذلك أنه لم يملا السقاء الذي يجعل فيه اللبن ليغلقه كون بيوت جيرانه تحيط به كالأفواه، فهو مفتوح لهم لا يمنعون منه أبدا.

وشأن شاعرنا فى تفسيره الكرم والبخل شأن المفكرين والفلاسفة الذين يؤكدون أن الإنسان تتمثل فيه نفسان، نفس تأمره بالكرم، ونفس تامره بالبخل[76] أو هذا التفسير جاء عند الشاعر نتيجة لحديث جرى بينه وبين صديق له قد سبق أن سأله عن دية احتملها

(74) المصدر نفسه: 92.
(75) شعر النمر بن تولب: ٩٢ – 93.
(76) شعر النمر بن تولب: ١٦.

أناس من قومه، فأجابه الصديق أن له نفسا تأمره بالعطاء ونفس تأمره أن لا يفعل، فأجابه الشاعر قائلا(77):

أمَّـا خَلِيْلِـي فَـإنّي لَسْـتُ مُعْجِلَـهُ حَتَّـى يُـؤامِرَ نَفْسَـيْهِ كَمـا زَعَمـا
نَفْـسٌ لَـهُ مِـنْ نُفُـوسِ القَـوْمِ صـالِحَةٌ تُعْطِـي الجَزيـلَ ونَفْسٌ تَرْضَـعُ الغَنَمـا

References

1. "Al-Aghani" (The Songs), Abu Al-Faraj Al-Isbahani (356 AH), edited by Samir Jaber, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd edition: 22/277.
2. "Al-Ikhtiyarin" (The Selectives), Ali bin Sulaiman Al-Akhfash Al-Asghar, edited by Fakhr Al-Din Qabawah, Al-Resalah Foundation, 2nd edition, 1984 AD: 270.
3. "Al-Jami' Al-Sahih Sunan At-Tirmidhi," Muhammad bin 'Isa Abu 'Isa At-Tirmidhi As-Sulami, edited by Ahmed Muhammad Shaker, Dar Ihya' Al-Turath Al-'Arabi, Beirut: 644/4.
4. "Critique of Poetry," Qudamah bin Ja'far (died 337 AH), edited by Dr. Muhammad Abdul Mun'im Khafaji, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyah, Beirut, Lebanon: 94.
5. "Diwan Al-Nabigha Al-Dhubyani," Muhammad Abu Al-Fadl Irahim, Dar Al-Ma'arif - Cairo, 2nd edition, 1985 AD: 23-25. "Diwan Al-A'sha," Maymun bin Qays Sharh and Ta'liq by Dr. Muhammad Muhammad Hussein, Al-Matbu'ah Al-Namudhajiyah, Egypt, 1950: 103.
6. "Elegiac Poetry in the Pre-Islamic Era: A Technical Study," Mustafa Abdel Shafi, Egyptian International Publishing Company, Egypt, 1st edition, 1995 AD, p. 191.
7. "Fi Sharh Abiyat Al-Mughni," Abdul Qadir bin 'Umar Al-Baghdadi (died 1093 AH), edited by Abdul Aziz Ribah and Ahmed Youssef Daqqaq, Dar Al-Mamoon for Heritage, 1st edition, 1393 AH - 1964: 5/10.

(77) المصدر نفسه: ١٠٨.

8. "Ghareeb Al-Quran," Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaybah Al-Dinawari (died 276 AH), edited by Ahmad Saqr, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyah, 1398 AH - 1978 AD: 1/331.
9. "Islamic Poetry in the Early Islamic Era: A Philosophical and Artistic Study," Ali Kamal Al-Fahadi, Doctoral Thesis, College of Arts, University of Mosul, 73:1990.
10. "Khozana Al-Adab Walab Labab Lisano Al-'Arab," Abdul Qadir bin 'Umar Al-Baghdadi (died 1093 AH), introduced and annotated by Muhammad Nabil Tarrifi, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyah, Beirut, 1st edition, 1418 AH - 1998 AD: 1/312.
11. "Tahreer Al-Tahbhir Fi Sana'at Al-Shi'r Wal-Nathr Wal-Bayan Fi 'Ijaz Al-Quran," Ibn Abi Al-Asbah Al-Misri (died 654 AH), Cairo, 1383 AH - 1963 AD: 1/62.
12. "The Gazelle Garden in Ancient Poems," Abdul Karim Ya'qub, Tishreen University Journal of Scientific Studies and Research, Issue 27, Volume 1, 2005: 23-24-25.
13. "The Poetry of Namir ibn Tawlab," Dr. Nuri Hamoudi Al-Qaisi, Al-Ma'arif Printing Press, Baghdad, 1969 AD: 59-60.

"The Virtuous Manners in the Poetry of Al-Namir bin Tulib"

Taariq Muhammad Ameen*

Ibraahim Muhammed Mahmood AL-Hamdany**

Abstract

The notion of virtuous manners in the poetry of Al-Namir bin Tulib , in its general view, is the total poetic experience of the poet because the latter is the Link between group of visions, pictures, ideas and emotions in one hand and the pattern of manifestation on the other hand. The values come in the foreword of manifestation about the experience and they are linked together in a strong psychological connection . The ability of portraying is the most important talent that the poet possess. If we represent number of critic's sayings about the importance of the values in the artistic work, we are going to find them saying that the poetry won't be poetry unless it has got values which are the central structure of poetry and its artistic instrument around it. The values that appeared in Al-Namir's poetry are loyalty, generosity, miserliness and betrayal.

Key words: (depiction, faith, wisdom).

* **Asst. Lect./Department of Arabic Language/ College of Education for Human Sciences/ University of Mosul.**

** **Prof../Department of Arabic Language/ College of Education for Human Sciences/ University of Mosul.**